


إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين:

إن البحث الفكري في التاريخ الإسلامي يشكل ثقلاً كبيراً في التراث العربي الإسلامي، الذي نبع نوره من شبه جزيرة العرب، بمبعث النبي ﷺ، وبمرافقة صحبة خيِّرة صالحة اصطفاها الله تعالى لمصاحبته ومؤازرته ونصرته، وقد شهد الله تعالى لهم بالفضل والفلاح في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولا شك أن معرفة هذه الكوكبة الخيِّرة، من هذه الأمة، تعدُّ ذات



أثر عميق في نفوس المسلمين كافة، لذا فإننا نحاول هنا تسليط الضوء على كتاب **(الاستيعاب في معرفة الصحابة رضي الله عنهم)** الذي ألّفه حافظ المغرب والأندلس يوسف بن عبدالبر القرطبي، ويعدُّ ذا قيمة شرعية وتاريخية وفكرية كبيرة، فضلاً عن دخوله ضمن جهود علماء هذه الأمة لتدوين سيرة الصحابة وأحوالِهم وإسهاماتهم في نواحي الحياة كافة، ولا نستطيع الإحاطة التامة بهذه الجوانب، دون أن نعلم كيف دوَّن هؤلاء العلماء سيرة هذه الكوكبة الخيِّرة من هذه الأمة. وتنبع أهمية **(الاستيعاب)** من شهرة مؤلف الكتاب وسابقته في التأليف في هذا العلم، إذ يحتل مكانة مرموقة باعتباره من أبرز العلماء الذين أنجبتهم أرض الأندلس، ومن أكثرهم شهرة.

أما فيما يخص كتاب **(الاستيعاب)** فهو من أوائل المؤلَّفات التي تناولت تاريخ الصحابة بإطار تاريخي وفكري مميَّز، والذي يزيد هذا توكيداً، تلك العبارة التي كتبها ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) عن الكتاب، وفيها تقييم حقيقي، ووصف دقيق هو قوله: «ولصاحبنا أبي عمر بن عبدالبر المذكور كتبٌ لا مثل لها... منها كتابه في الصحابة سماه كتاب «الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة ﷺ، والتعريف بهم، وتلخيص أحوالهم ومنازلهم، وعيون أخبارهم» على حروف المعجم، اثنا عشر جزءاً، ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك»[1]، ويعلم كل من قرأ هذه العبارة، بأنها ليست مدحاً من قبل عالم لصديق له وزميل معجب بنتاج زميله، فقد كانت بين الفقيه الظاهري والحافظ ابن عبدالبر صداقة وصلة قوية، وإنما فيها تقييم حقيقي لهذا الكتاب، وفيها معانٍ لها دلالاتها.

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي: ٢/١٨٠.

**التعريف بالحافظ ابن عبدالبر:**

يعدُّ الحافظ ابن عبدالبر من أشهر المحدِّثين الذين ظهروا في أرض الأندلس على الإطلاق، حيث وُلد أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي في حاضرة الأندلس في الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨هـ/١٣ أيلول ٩٧٨م، وحصَّل العلوم في مدينة قرطبة حتى حدوث الفتنة فيها، بعد ضياع السلطة المركزية في قرطبة، فخرج إلى أشبيلية، ومنها طاف في مدن الأندلس إلا أنه لم يخرج منها.

نال ابن عبدالبر ثناء العلماء، لمؤلَّفاته الكثيرة في مختلف أنواع العلوم، وإن كان جلُّ اهتمامه بالحديث وعلومه، وليس أدلَّ على سعة علمه، وفائدة مؤلَّفاته من كتاب: ***«التمهيد في معرفة الرواة والسنن والمسانيد»*** الذي قال عنه ابن حزم الظاهري: «لا أعلم في فقه الحديث مثله، فكيف بأفضل منه!»[1]. وقد وصفه أبو الوليد الباجي بأنه «حافظ المغرب»، وقال الذهبي: «كان أبو عمر أعلمَ من بالأندلس في السنن والآثار واختلاف الأمصار»[2].

وبعد رحلة حافلة مليئة بنشر العلم تأليفاً وتدريساً، استقرَّ المقام بالحافظ ابن عبدالبر في مدينة شاطبة في الأندلس، وفيها وافاه الأجل في ٢٩ شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٣هـ/٢ شباط ١٠٧١م[3].

**تسمية الكتاب:**

إن الطبعة التي بين أيدينا من كتاب الاستيعاب تحمل عنواناً له دلالة على مضمون الكتاب وهو **(الاستيعاب في معرفة الأصحاب)** وهي التسمية

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي (١٧٩/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥٩/١٨).

(٣) ينظر في: ترتيب المدارك (٨٠٨/٤)؛ ابن بشكوال، الصلة (٣٧٦/١)؛ سير أعلام النبلاء (١٥٩/١٨).



الأشهر لهذا الكتاب، ويحق لنا أن نتساءل، هل أن هذه التسمية هي التي اختارها ابن عبدالبر لكتابه أم أن التسمية اختصرت؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل علينا العودة إلى الأندلس، وذكرهم لهذا الكتاب، ومن أقربهم ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) الذي ذكر عنواناً طويلاً له هو: (كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة ﷺ والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم)[١]، وقد نقل الحميدي التسمية نفسها على عادته في النقل عن ابن حزم[٢]، أما ابن بشكوال فقد سماه (كتاب الاستيعاب في معرفة الصحابة ﷺ)[٣]، وهي التسمية نفسها التي ذكرها ابن خير (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)[٤] والمقري (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)[٥] من بعده.

وقد ذكر جمهور المتأخرين من المؤرّخين من غير الأندلسيين الكتاب باسمه الأول من دون أن يوردوا لنا اسمه بدقة أهل الأندلس، فقد ذكروه باسم (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)[٦]، والذي اشتهر بين العلماء فيما بعد هو التسمية الأولى للكتاب، فكانوا يطلقون عليه (الاستيعاب)، وكانت أكثر نقولاتهم منه وفقاً لهذه التسمية، ومن الواضح أن تسمية ابن عبدالبر للكتاب تسمية طويلة نسبياً، وعلينا أن لا ننسى مؤلَّفات ابن عبدالبر الأخرى، والتي يبدو فيها مغرماً بالعناوين الطويلة المسجوعة، مثل (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وكتابه (الدرر في اختصار المغازي والسير)، وغيرها، ووفقاً لهذا المنظور يمكن أن نرجِّح تسمية أهل الأندلس

(١) رسائل ابن حزم: ٢/١٨٠.
(٢) الجذوة: ٢/٥٨٧.
(٣) الصلة: ٣/٩٧٤.
(٤) فهرسة ابن خير: ص٢١٥.
(٥) نفح الطيب: ٣/٦.
(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون: ١/٨١، الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص٢٠٦.

للكتاب وهي: (الاستيعاب في معرفة الصحابة ﷺ) مع الأخذ بعين الاعتبار أن يكون اسم الكتاب قد تحول إلى التسمية الشائعة المعروفة ظناً أنها التسمية الحقيقية التي اختارها مؤلفه له، وهذا غير مستبعد.

أما فيما يخص تسمية ابن حزم للكتاب، فقد اختلط فيها الاسم بالتعريف، خاصة وأن ابن حزم كان في مقام تعديد فضائل أهل الأندلس ومؤلّفاتهم وعلومهم ومعارفهم، فمن الطبيعي أن يسترسل في إطراء الكتاب وبيان محتواه.

والسؤال الثاني الذي يطرح نفسه، لماذا سمى ابن عبدالبر كتابه بـ(الاستيعاب)..؟!.

إن هذا التساؤل قد أثار نقاشاً طويلاً بين المؤرّخين، خاصة وأن ابن عبدالبر لم يستوعب جميع الصحابة، كما يفهم الناظر للعنوان أول وهلة، وينتقد ابن حجر هذه التسمية للكتاب لأنه ظن: «أنه استوعب ما في كتب من قبله»[1]، ومع ذلك فما فاته من أسماء الصحابة الشيء الكثير كما سيأتي بيانه بعد قليل.

ولعل التحليل لعنوان الكتاب يوضح لنا كثيراً من الجوانب التي تحتاج إلى تسليط الضوء عليها، لفهم المعاني التي يدلُّ عليها الكتاب، وفتح الباب لفهم مضمونه، ونطاقه التاريخي.

### معنى الاستيعاب:

عند العودة إلى معنى (الاستيعاب) عند أهل اللغة، نجده يدور حول جمع الشيء والإحاطة به، قال ابن منظور: «وعَبَ الشيءَ وَعْباً وأَوْعَبهُ

(1) الإصابة: ٢/١.

واسْتَوْعَبَه: أَخَذَه أَجْمَعَ»[١]، ومن ضمن معانيه أيضاً كما قال: «..الإِيعاب والاستيعابُ: الاسْتِئصالُ والاستِقْصاءُ في كل شيء»[٢]، ووفق هذا البيان يتضح لنا أن مفهوم (الاستيعاب) يعني جمع المادة واستقصاءها بغضّ النظر عن سعتها أو قصرها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: **«في الأَنْفِ إِذا اسْتُوعِب جذعاً الدِّية»**[٣] ومعنى الحديث: «اسْتُوعِب جَذْعُه، أي: اسْتُقْصاءً»[٤]، ويوضح أبو عبيد المعنى أكثر عندما يعلق على هذا المعنى: «استوعب: يعني استؤصل، وكذلك كل شيء اصطُلِم فلم يبق منه شيء فقد أُوعِبَ، وهو الاستيعاب»[٥].

إن اختيار ابن عبدالبر (للاستيعاب) كي يكون عنواناً لكتابه عدّ في نظر البعض غير مناسب، فقد أثارت حفيظة ابن حجر الذي عاب عليه اختياره لهذه الكلمة، فيظن السامع أنه استوعب كل الصحابة: «ومع ذلك فقد فاته الشيء الكثير»[٦]، وعلى الرغم من هذا فإن أي أحدٍ من العلماء ما عاب على ابن عبدالبر هذا العنوان، فهذا ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٤م)، وهو في مقام تعداد كتب الصحابة يقول: «هذا علم كبير قد ألّف الناس فيه كتباً كثيرة، ومن أحلاها وأكثرها فوائد كتابُ الاستيعاب لابن عبدالبر...»[٧]، أما ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٢٧١م) فيبين ميّزات الاستيعاب ويفرقه عن غيره من الكتب بقوله: «وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله بضبط أسمائهم

---

(١) لسان العرب، مادة وعب: ٧٩٩/١.
(٢) المصدر نفسه: ٧٩٩/١.
(٣) البزار، مسند البزار: ٣٨٦/١؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى: ٨٨/٨.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث: ٢٠٨/٢؛ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: ٤١/٤.
(٥) القاسم بن سلام، الغريب في الحديث: ٢٠٤/٣.
(٦) الإصابة: ١/٢.
(٧) مقدمة ابن الصلاح: ص٢٩١.



وذكر أيامهم ووفياتهم، من أجلّهم الشيخ أبو عمر بن عبدالبر النمري في كتابه الاستيعاب»[(١)].

ومن الجدير بالذكر أن ابن حزم عند مفاخرته بعلوم أهل الأندلس يوضح ناحية مهمة من النواحي الخفية التي يسجلها لابن عبدالبر خاصة ولأهل الأندلس عامة، بقوله: «ليس لأحد من المتقدّمين مثله، على كثرة ما صنّفوا في ذلك»[(٢)]، والذي عناه ابن حزم هنا أنه لم يؤلّف على منواله أحدٌ من المتقدمين، وإلا فالمؤلّفات التي تبحث في تاريخ الصحابة كثيرة، وهذه الناحية أكّد عليها ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) أيضاً، حين أراد أن يبين ميزة الاستيعاب عن غيره من الكتب فقال: «ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه، وكل ما يعرف به، حتى إنه يقول: هو ابن أخي فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية، وكان هذا هو المطلوب من التعريف»[(٣)]، فالميزة التي تميز الاستيعاب عن المؤلّفات الأخرى أنه أحاط بمعلومات تاريخية ولم يكتف بالمعلومات الحديثية التي تخصُّ رواية الصحابي، ومع ذلك فقد اعتذر ابن عبدالبر سلفاً في مقدمة كتابه عن التقصير والنقص الذي يمكن أن يكون بالكتاب بقوله: «على أني لا أدّعي الإحاطة، بل أعترف بالتقصير الذي هو الأغلب على الناس، وبالله أستعين»[(٤)].

**تزكية الصحابة:**

يبدأ ابن عبدالبر في مقدمة كتاب «الاستيعاب» بذكر الآيات الدالة على فضيلة الصحابة وتزكية الله لهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ

(١) البداية والنهاية: ٦/١.
(٢) رسائل ابن حزم: ١٨٠/٢.
(٣) أسد الغابة: ١١/١.
(٤) الاستيعاب: ٢٠/١.

مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، ومنه قوله تعالى أيضاً: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثم يورد عدداً من التفاسير المأثورة في تفسير هذه الآيات، مسندةً عن عدد من المفسرين منهم ابن سيرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾، قال: هم الذين صلّوا إلى القبلتين، وهو قول سعيد بن المسيب، ويرويه ابن عبدالبر بسنده أيضاً عن الشعبي(١)، وهناك آراء أخرى في تحديد السابقين الأولين، يوردها أيضاً للدلالة على أهمية هذه الآية في تزكية الصحابة، فيروي بإسناده عن جابر بن عبدالله والشعبي أنهم الذين شهدوا بيعة الرضوان(٢).

إن هذا يعطينا تصوراً عن مقصد من مقاصد كتاب الاستيعاب، فابن عبدالبر يورد عدداً من الأدلة التي تدل على عدالة الصحابة غير المشكوك بها أبداً، وقد زكاهم الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وهذا أمر نجده يستغرق صفحات عدة في المقدمة، ويورد خلالها أحاديث عدة مسندة تدلُّ على هذا المعنى، منها: (عن جابر: أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة(٣) جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م): ١١/٧ ـ ٨؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ٤/٢٦٩.

(٢) الطبري، التفسير: ١١/٦.

(٣) هو أبو عبدالله حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، شهد بدراً والحديبية ومات سنة ٧٠هـ/٦٨٨م بالمدينة. ابن سعد، الطبقات: ٣/١١٤؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/٣١٢؛ ابن حجر، الإصابة: ٢/٤.

حاطب النار!. فقال رسول الله ﷺ: **«كذبت لا يدخلها، فإنه قد شهد بدراً والحديبية»**[1]، ويخرج ابن عبدالبر هذا الحديث عدة مرات وبأسانيد مختلفة[2].

ويبدو أن الذي يعنيه ابن عبدالبر من هذا، الرد على التيار الشعوبي الذي بدأ يقوى في هذه المدة، بسبب ضعف السلطة المركزية في أرجاء عديدة من العالم الإسلامي، فقد اتخذوا صحابة النبي ﷺ غرضاً يطعنون فيهم ويَسمونَهم بمختلف السمات، وهذا الأمر قد لفت انتباه ابن عبدالبر فألَّف كتابه هذا للذبِّ عنهم وبيان فضائلهم. ويقف ابن عبدالبر في (استيعابه) موقفاً مشابهاً لموقف ابن حزم الذي ألَّف في هذا الوقت أيضاً كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وعلى الرغم من أن الأندلس لم تعانِ من أذى الشعوبية بقدر معاناة إخوانهم في المشرق[3]، إلا أن إسهاماتهم لم تكن لتقلَّ عن إسهامات علماء المشرق في الذبِّ عن سادات هذا الدين، ودحض افتراءات أعدائه، فكان هناك شعور بالمسؤولية عند أهل الأندلس فألفوا عدة كتب صرَّحوا بها بخطر الشعوبية، ومن ذلك قول ابن حزم يصفهم بأنهم: «راموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر الله الحق»[4].

فكما هي عقيدة كل مسلم في احترام هذا الجيل والترضي عنهم والاقتداء بهم، لكي لا يعطي مجالاً لأذناب الشعوبية في دسِّ سمومهم في الجسد الإسلامي الواحد، فكذلك أكَّد ابن عبدالبر هذا بقوله: «إنما وضع الله عز وجل أصحاب رسوله الموضع الذي وضعهم فيه، بثنائه عليهم

---

(١) الإمام أحمد، المسند: ٣٢٥/٣؛ مسلم، الصحيح: ١٩٤٢/٤؛ الترمذي، السنن: ٦٩٧/٥.

(٢) الاستيعاب: ٣/٤ ـ ٥.

(٣) ينظر: مجيد خلف، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة): ص١٩ ـ ٣٢.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢٢٨/٢.

من العدالة والدين والإمامة، لتقوم الحجّةُ على جميع أهل الملة، بما أدّوه عن نبيهم من فريضة وسنة، فصلّى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، فنعم العون كانوا له على الدين في تبليغهم عنه إلى من بعدهم من المسلمين»[1].

## الصحابة في الاستيعاب:

بعد ذلك يسترسل ابن عبدالبر في تحديد الصحابة الذين رووا عن النبي ﷺ، ومن انضوى تحت جناحهم، وهنا يستند للحديث المشهور الذي ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**[2]، ويذكر هنا روايات عدة عن عدد من الصحابة غير ابن مسعود، ويشرح هذا الحديث في كتاب آخر من كتبه قائلاً: «إن قرنه إنما فضّل لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، وإن آخر هذه الأمة، إذ أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على طاعة ربهم، في حين ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصي والكبائر، كانوا أيضاً غرباء وزكت أعمالهم»[3]، وهذا المعنى هو في الحقيقة معنى مقارب لما ذكره غيره من العلماء، قال النووي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)[4]: «معناه خير الناس قرني: أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة، وهم المرادون بالحديث»[5].

---

(١) الاستيعاب: ١٥/١.

(٢) البخاري، الصحيح: ٩٣٨/٢؛ مسلم، الصحيح: ١٩٦٣/٤؛ ابن ماجة، السنن: ٧٩١/٢؛ الترمذي، السنن: ٥٠٠/٤؛ النسائي، السنن: ١٧/٧.

(٣) ابن عبدالبر، التمهيد: ٢٥٢/٢٠.

(٤) هو يحيى بن شرف بن حسن الحوراني الشافعي، أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران بسورية). ترجمته عند: الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١٤٧٠/٤.

(٥) شرح صحيح مسلم (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م): ١٣٩/٣.

والأمر المهم هنا أن ابن عبدالبر يسلِّط الضوء على الرواية التي وردت عن أبي هريرة ﷺ لهذا الحديث عن النبي ﷺ التي يقول فيها: «**خير الناس قرني الذي بعثت فيهم**...»[1]، والمبني وفقاً لهذا المنظار على الخيرية التي شملتها بركة صحبة النبي ﷺ، وتمثل هذه الرواية خصوصية أكثر بالنسبة لهم، وكأنه عدَّ هذه النقطة مكان الانطلاق لكتابه.

والإطار الزمني للاستيعاب حدده هذا المصطلح، الذي يدل على الزمان لغةً واصطلاحاً، فأما في اللغة فـ (القرن) يعني الاقْتران، وهو المقدار الذي يجتمع عليه أهل ذلك الزمان[2]، وأما في الاصطلاح فإن تحديده تحديداً زمنياً من الصعوبة بمكان، قال ابن الأثير: «وقيل القَرْن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلَقٌ من الزمان»[3]، ونجد ابن حجر يختار أوسط الأقوال في ذلك، وهو أن القرن سبعون سنة: «وهذا أعدل الأقوال»[4].

واللافت للنظر أن ابن عبدالبر يحدِّده بـ (١٢٠) سنة[5]، وهو رأي أقل ما يقال عنه عند أهل هذا العلم: رأي ليس براجح، والسبب الذي من أجله حدد القرن في الاستيعاب بهذا الرقم، وهو وفاة أبي الطفيل الذي: «ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين. نزل الكوفة، وصحب علياً في مشاهده كلها، فلما قتل علي ﷺ انصرف إلى مكة، فأقام بها حتى مات سنة مائة... ويقال إنه آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ»[6]، ويقول ابن حجر تعليقاً على وفاة أبي الطفيل: «وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل، على

(١) أحمد، المسند: ٢/٢٢٨.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة قرن: ١٣/٣١٣.
(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر: ٢/٣٤٣.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٧/٥.
(٥) الاستيعاب: ١/١٢.
(٦) المصدر نفسه: ٨/١٦٩٨.



الاختلاف في وفاة أبي الطفيل»[1]، ومن هذا يتبين لنا واضحاً الإطار الزمني الذي سار وفقه كتاب الاستيعاب، إذ امتد من بعثة النبي ﷺ حتى نهاية القرن الأول الهجري.

## شرط الاستيعاب:

لقد أوجد ابن عبدالبر لنفسه أساساً في انتقاء الصحابة وتمييزهم، وذكر ذلك في مقدمة كتابه (الاستيعاب)، فهناك عدد كبير من الصحابة الذين اختلف في صحة صحبتهم، وكان لا بد من إيجاد طريقة خاصة لذكرهم، وتصنيفهم، فبغضِّ النظر عن من ثبتت صحبته منهم، وضع ابن عبدالبر لنفسه شروطاً لذكرهم، ويمكن بيانها وفق الآتي:

أ ـ ذكر من صحت صحبته ومجالسته، حتى من لقي النبي ﷺ ولو مرة واحدة مؤمناً به، مثل: منجاب بن راشد الناجي[2]، ونبيط بن شريط الأشجعي، ونابل الحبشي[3]، وكبشة بنت رافع[4].

ب ـ «ذكر من روى عن النبي ﷺ أو سمع منه لفظاً فأدَّاها عنه، واتصل ذلك بنا حسب روايتنا»[5]، من أمثال: أبان المحاربي[6] الذي: «كان أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يقول إذا أصبح: الحمد لله ربي لا أشرك به شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله، إلا ظل يغفر له ذنوبه حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي غفرت**

---

(١) فتح الباري: ٦/٧.

(٢) الاستيعاب: ١٤٨٥/٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٢٢/٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٩٠٦/٤.

(٥) الاستيعاب: ١٤٨٥/٤.

(٦) ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٨٨/٧؛ خليفة بن خياط، الطبقات: ص٦١.

له ذنوبه حتى يصبح»[1]، وأسد ابن أخي خديجة بنت خويلد القرشي الأسدي[2] روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تبع ما ليس عندك**». ذكره العقيلي، وقال: «في إسناده مقال»[3]، والحارث المليكي[4] روى عن النبي ﷺ: «**الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها**»... الحديث[5]، وسواد بن عمرو القاري الأنصاري روى عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن الخلوق مرتين أو ثلاثاً، وأنه رآه متخلقاً، فطعنه النبي ﷺ بجريدة في بطنه، فخدشه، فقال: أقِصّني، فكشف له النبي ﷺ عن بطنه، فوثب فقبّل بطن النبي ﷺ»[6]، هلال الأسلمي[7] الذي روى عن النبي ﷺ: «**يجوز الجذع من الضأن ضحية**»[8].

ج ـ ذكر من ولد على عهد النبي ﷺ من أبوين مسلمين، فدعا له، أو نظر إليه أو بارك عليه، منهم: سعد بن حبتة[9]، وعبادة بن عثمان

---

(١) الاستيعاب: ١/٤٦ ـ ٦٥، ولم ترد له في كتب الحديث غير هذه الرواية، وهي عند: الطبراني، المعجم الكبير: ١/٢٣١.

(٢) الإصابة: ١/٥١.

(٣) الاستيعاب: ١/٧٩، ويبدو أن العقيلي ذكر ذلك في كتابه الصحابة، لأن هذا الحديث لا أثر له في كتابه (الضعفاء الكبير).

(٤) قال ابن حجر بعد أن أورد كلام ابن عبدالبر فيه: «وأخشى أن يكون صحّفه، فإن الطبراني أخرج هذا الحديث من هذا الوجه، فقال: عن يزيد بن عريب [ووقع في طبعة الإصابة غريب وهو تصحيف] عن أبيه عن جده، فذكره سواء بسواء: الإصابة: ١/٦١٣؛ والحديث أخرجه الطبراني، المعجم الكبير: ١٧/١٨٨.

(٥) الاستيعاب: ١/٣٠٥.

(٦) المصدر نفسه: ٢/٦٧٣؛ قال البخاري: «ولم يصح حديثه»، التاريخ الكبير: ٤/٢٠٢؛ ابن أبي حاتم (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م): ٤/٣٠٣.

(٧) ابن حبان، الثقات: ٣/٤٣٨؛ قال ابن حجر: «عداده في الصحابة»، تهذيب التهذيب: ١١/٧٥.

(٨) الاستيعاب: ٤/١٥٤٣.

(٩) المصدر نفسه: ٢/٥٨٤.

الأنصاري[(١)]، وعبدالله بن الزبير[(٢)]، وعبدالله بن هلال[(٣)]، وفرقد العجلي[(٤)].

د ـ من كان مؤمناً به قد أدى الصدقة إليه[(٥)]، وإن لم يرد عليه[(٦)]، مثل سويد بن غفلة الذي: «أدى الصدقة لمصدق رسول الله ﷺ ثم قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ»[(٧)]، وعبدالرحمن بن مل[(٨)]، وأبو صفرة ظالم بن سراق الأزدي[(٩)].

وقد فتحت هذه الشروط على ابن عبدالبر باباً واسعاً من الاستدراكات، ووجد من جاء بعده في هذا مجالاً خصباً للكتابة، فممن استدرك عليه: فضالة بن عمير بن الملوح الليثي، الذي ذكره في الدرر: «بأن النبي ﷺ مر به يوم الفتح وهو عازم على الفتك به، فقال له: **«ما كنت تحدث به نفسك؟»** قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى، فضحك رسول الله ﷺ وقال: **«أستغفر الله لك، ثم وضع يده على صدره»**. قال: فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما أجد على ظهر

---

(١) الاستيعاب: ٢/٨٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٩٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٩٤٢؛ وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/١٩٣؛ الثقات: ٣/٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٢٥٩، وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/٨١.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٩٤٢؛ وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/١٩٣؛ الثقات: ٣/٢٣٩.

(٦) المصدر نفسه: ٣/١٢٥٩، وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/٨١.

(٧) المصدر نفسه: ٢/٦٧٩، وينظر: ابن سعد، الطبقات: ٦/٦٨؛ البخاري، التاريخ الكبير: ٤/١٤٢.

(٨) المصدر نفسه: ٢/٨٥٣، وينظر: ابن سعد، الطبقات: ٧/٩٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٠/٢٠٢.

(٩) المصدر نفسه: ٤/١٦٩٢؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات: ٧/١٠١؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٤/٥٠٣.

الأرض أحب إليّ منه»[1]، قال ابن حجر: «ولم يذكره في الاستيعاب وهو على شرطه»[2]، ومنهم المنذر بن ساوى بن الأخنس، قال الرشاطي: «لم يذكره ابن عبدالبر وهو على شرطه»[3]، ومن هذا القبيل استدرك عليه الكثير من التراجم ابن فتحون والرشاطي وابن الأثير وابن حجر وغيرهم.

**عدد التراجم:**

إن عدد تراجم الكتاب الذي بين أيدينا يفوق ما كان عليه الكتاب عند وفاة مؤلِّفه، فقد أضيفت تراجم عديدة للكتاب فضلاً عن مادته الرئيسة، والذي يدل على ذلك ما ذهب إليه ابن فتحون (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) عندما قال: «إن جميع من في الاستيعاب ـ يعني ممن ذكر فيه باسمه أو كنيته ـ ثلاثة آلاف وخمسمائة»[4]، وأشار إلى أنه استدرك في ذيله على الاستيعاب عليه ممن هو على شرطه قريباً من ذلك[5]، وهذه العبارة هامّة، إذا ما أخذنا بالحسبان قرب ابن فتحون من مكان وزمان ابن عبدالبر، يضاف إلى ذلك اهتمامه الشديد بكتاب الاستيعاب، الذي كتب عنه أكثر من كتاب.

أما ابن الأثير الذي كان له اهتمام خاص بـ (الاستيعاب)، فقد ضمن أغلب التراجم التي فيه في كتابه (أسد الغابة)، وكان ذلك بعد استبعاد من وهم فيه ابن عبدالبر، فبلغ مجموع هذه التراجم (٣٣٦٥) ترجمة[6]، وهي قريبة مما ذكره ابن فتحون.

(١) الدرر: ص٢٢٢.
(٢) الإصابة: ٣٧٢/٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢١٦/٦.
(٤) ابن حجر، الإصابة: ٣/١.
(٥) الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص٢٠٦.
(٦) ليث سعود جاسم، ابن عبدالبر: ص٣٠٢.

والمشكلة الأخرى التي تعترض تحديد العدد الذي حواه الاستيعاب من التراجم، هي تداخل كثير من استدراكات العلماء الآخرين على متن الاستيعاب نفسه، مما سبَّب إرباكاً واضحاً في عدد التراجم فيما بعد عند طبع الكتاب، فالكتاب على أهمِّيته لم يطبع إلا مرتين، كانت الأولى باعتناء (مطبعة السعادة) سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٨م، وكانت بهامش كتاب (الإصابة) لابن حجر العسقلاني، والميزة فيها أنها طبعت على حروف المعجم المتعارف عليها بين أهل الأندلس والمغرب، وقد حققت أصولها على نسخ عدة من مكتبات المغرب العربي فضلاً عن نسخة دار الكتب المصرية، وقد بلغ مجموع تراجم هذه الطبعة (٣٦٢٤) ترجمة[١]، وهي أيضاً قريبة من العدد الذي ذكره ابن فتحون، وقد أعيد نشر الكتاب على هذه الطبعة فيما بعد عدة مرات.

أما المرة الثانية التي نشر فيها (الاستيعاب)، فقد أفرد فيها الكتاب مستقلاً وكانت بأربعة أجزاء، حققها المحقق المعروف علي محمد البجاوي، نشرت الطبعة الأولى منها سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، وقد رتبت هذه الطبعة ترتيباً مغايراً لأصل الكتاب، إذ رتبت على حروف المعجم المتعارف عليها بين أهل المشرق، وبلغ عدد تراجم هذه الطبعة (٤٢٢٥) ترجمة، وهو عدد يفوق ما في طبعة السعادة، وقد أضاف الأستاذ علي البجاوي محتوى مخطوطة كان قد عثر عليها في دار الكتب المصرية إلى طبعته، ويذكر بأنها تحمل اسم (هوامش الاستيعاب)[٢]، وكان المفروض من البجاوي أن لا يضيف محتوى هذه المخطوطة إلى الاستيعاب بل ينشرها مستقلة، أو على الأقل يذكرها في هوامش الاستيعاب.

والسبب الآخر الذي ضخم عدد تراجم الاستيعاب هو وصية ابن عبدالبر لتلميذه أبي علي الغساني أن يلحق بكتابه ما فاته من تراجم الصحابة ممن هي

(١) ينظر: الاستيعاب، بهامش الإصابة لابن حجر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م): ص١.

(٢) مقدمة المحقق، الاستيعاب: ١/ب.

على شرطه، ويبدو أن الغساني قد نفذ وصية شيخه فألحق بالاستيعاب عدداً من التراجم، وصلت إلينا مطبوعة في الاستيعاب، من ذلك: «صلصال بن الديلمة سقط لأبي عمر فألحقه الفقيه أبو علي»[1]، وليس هناك تصريح كثير بإضافات أبي علي الغساني، والراجح لدينا أن تراجم الاستيعاب، كما تركه ابن عبدالبر، لم تكن تتجاوز بأي حال من الأحوال (٣٥٠٠) ترجمة، أما التراجم الأخرى فهي عبارة عن إضافات واستدراكات المذيِّلين عليه أو المستدركين، وربما من النساخ القدامى والناشرين المعاصرين أيضاً!.

والذي يدلُّ على ذلك اقتباسات ابن حجر في الإصابة من الاستيعاب، البالغة حوالي (٣٠٠٦) نصاً[2]، وعلى الرغم من هذا العدد الضخم من الاقتباسات، فالملاحظ على ابن حجر أنه لا يستعين بروايته المسندة للاستيعاب في كتابه الإصابة، والتي تنتهي بتلميذ ابن عبدالبر، موسى بن أبي تليد (ت٥١٧هـ/ ١١٢٣م)[3]، والذي يعدُّ من الجيل الأخير من تلاميذ ابن عبدالبر[4]، ويبدو أن ابن حجر لم يستطع الحصول على سند أفضل منه، مقارنة بسند ابن خير الذي يمر بأشهر تلامذة ابن عبدالبر وهم كل من: أبي علي الغساني، وابن عتاب، وعلي بن موهب المعروف بابن الزقاق (ت٥٣٢هـ/ ١١٣٨م)[5].

ومما مر يمكن ذكر الأسباب التي أدت إلى هذا القصور الحاصل في

(١) الاستيعاب ٧٣٩/٨، ١٨٤٣/٤، (طبعة البجاوي).
(٢) شاكر محمود عبدالمنعم الهيتي، ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، أطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٩م): ص٦٤١، والذي ظهر للباحث أنه اعتمد على عدة نسخ صحيحة ومجودة.
(٣) من أهل شاطبة، كان فقيهاً أديباً، ينظر ترجمته عند: القاضي عياض، الغنية: ص٢٥٦؛ ابن بشكوال، الصلة: ٨٨٠/٣.
(٤) ابن حجر، لسان الميزان: ١٠٠/٤.
(٥) ابن خير، الفهرسة: ص٢١٥.

(الاستيعاب) عن الإحاطة بعدد أكبر من العدد الذي حواه فعلاً، على الشكل الآتي:

أ - يعدُّ الاستيعاب أول مؤلَّف تناول بمحتواه الواسع تاريخ الصحابة من الجوانب كافة، على قول ابن حزم، ولذلك لا بد لكل جديد من أن تكون له ثغرات، وهي مع ذلك لم تقلِّل من قيمة الكتاب عند المحدِّثين، قال ابن جماعة (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) في معرض كلامه عن هذا النوع من الكتب: «ومن أجودها كتاب الاستيعاب لابن عبدالبر»[(١)].

ب - يرجح ابن حجر أن ابن عبدالبر اعتمد في كتابه الاستيعاب على مؤلَّف ابن السكن (ت٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) في الصحابة، حيث يقول: «وكتاب ابن السكن عمدة ابن عبدالبر الكبرى، فهو في كتاب الاستيعاب عليه يحيل ومنه ينقل غالباً»[(٢)]، ومن الطبيعي أن هذا لم يُتح لابن عبدالبر سعة نظر في متابعة التراجم، ومن المناسب أن نشير في هذا المقام إلى أن النسخة التي كان يملكها ابن حجر من كتاب الصحابة لابن السكن كانت بخط ابن عبدالبر نفسه[(٣)]، وقد وشِّيت بتعليقات مفيدة لابن عبدالبر، استعان بها ابن حجر لأهميتها، وقد نقل الأخير أكثر من ترجمة من خطه، لم تكتب في الاستيعاب[(٤)]، وهذا دليل على عدم ذكر بعض التراجم.

ج - إن ابن عبدالبر لم تتح له فرصة الخروج خارج الأندلس، وعلى الرغم من الصلة الفكرية القوية بين المشرق والمغرب في ذلك الوقت، فإن هذا لم يكن كافياً لاطلاعه على جميع المؤلَّفات التي تناولت تاريخ الصحابة، فمن الواضح أنه لم يطَّلع على كتاب (تسمية أصحاب

---

(١) محمد بن إبراهيم، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: د.محيي الدين عبدالرحمن رمضان (دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م): ص١١١.

(٢) لسان الميزان: ١٠٣/٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة: ٦٢٦/٢؛ ٤٢٧/٣، ٣٤٧/٥، ٢٢٧/٧.

(٤) المصدر نفسه: ٢٤٧/١.

رسول الله ﷺ[1] للترمذي (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وكذلك لم ير كتاب محمد بن عثمان العثماني[2] في الصحابة[3]، وكذلك ما كتبه عبدالله بن محمد المروزي المعروف بعبدان (ت٢٩٣هـ/ ٩٠٤م) الذي ألّف في الصحابة[4]، ويذكر ابن حجر العسقلاني أن هناك عدداً من الصحابة أوردهم سيف بن عمر (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م) في كتابه (الفتوح)، وقد استدركهم ابن فتحون وغيره: «فلعل أبا عمر لم ير كتاب سيف»[5].

د ـ يبدو أن ابن عبدالبر قد ترك مؤلّفه هذا مفتوحاً لم يختمه حتى وفاته، ومن الواضح أنه كان مقتنعاً بأن هناك الكثير مما فاته لم يحوه الاستيعاب، فوجدناه يوصي أحد تلاميذه، وهو أبو علي الغساني بإضافة ما يجده مناسباً من تراجم الصحابة إليه، حتى تعمَّ به الفائدة، وهذا ما فعله الغساني فعلاً.

ولهذه الأسباب، وغيرها، كثرت الاستدراكات والذيول على كتاب الاستيعاب، وهي لا تقلّل من قيمة هذا الكتاب، بقدر ما تبيِّن المكانة التي احتواها في نفوس العلماء قديماً وحديثاً، وتغني المكتبة الإسلامية بنتاج فكري متميز.

## الاستدراكات على الاستيعاب:

إن شهرة كتاب الاستيعاب وانتشاره بين العلماء في العالم الإسلامي، وتلقّي طلاب العلم له بالقبول والاقتناء، دفع بعض المحدِّثين والمؤرِّخين

---

(١) السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص٥٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ص٥٤١.
(٣) وقد استدرك ابن فتحون وابن الأمين وابن الأثير من هذا الكتاب على ابن عبدالبر، ينظر: ابن حجر، الإصابة: ١٩٨/١، ٣٨٢/٤، ٦٨٨/٦، ٢٦/٧.
(٤) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ: ص٥٤٠؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص١٢٧.
(٥) الإصابة: ١٤١/٥.

إلى العناية به، وتسجيل ملاحظاتهم عليه، سواء أكانت هذه الملاحظات على شكل استدراكات أم على شكل ذيول، وكان علماء الأندلس هم السابقون إلى هذا الميدان، قبل غيرهم من العلماء، وهذا يدل على أهمية كتاب الاستيعاب، ورسوخه بين أهل العلم في ذلك العصر وما تلاه، كما أنه يدل على حاجة المجتمع بصورة عامة لهذا الكتاب الذي حوى كثيراً من صور الجهاد والزهد والتضحية التي كان الإنسان الأندلسي بحاجة ماسة لها وهو يواجه المدّ الصليبي القادم من الشمال.

ونرى من الضروري التعريف بأهم هذه الاستدراكات والذيول لبيان ما تقدم:

**أ ـ أبو علي الغساني (ت٤٩٨هـ/ ١١٠٣م)**: وهو من مشاهير تلامذة ابن عبدالبر، وقد تقدم ما ذكرناه من وصية ابن عبدالبر له بإلحاق ما يجده مناسباً من تراجم الصحابة[١]، ويبدو أن ابن حجر كان قد رأى هذه الحاشية على هامش الاستيعاب، ونقل منها عدة مرات بأكثر من صيغة، فهو يسميها (استدراكات)[٢] و(ذيل)[٣] وأحياناً بكونها (أوهام)[٤]، والملاحظ على هذه الاستدراكات أنها تراجم بسيطة لم تتجاوز (٢٢) ترجمة عند ابن حجر في كتابه (الإصابة)، وهي نسبة قليلة.

**ب ـ أبو بكر محمد بن خلف بن فتحون الأريولي (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)**[٥]: ويعدُّ من أهم العلماء اعتناءً بالاستيعاب بحثاً وتمحيصاً، قال ابن بشكوال: «وله استلحاق على أبي عمر بن عبدالبر في كتاب الصحابة

(١) السهيلي، الروض الأنف: ٣٣٤/٦؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١٢٣٤/٤.
(٢) الإصابة: ٧٣/٦؛ الهيتي، ابن حجر: ص٦٤٢.
(٣) الإصابة: ١١٨/٧؛ تهذيب التهذيب: ٣٧٦/١٠؛ الهيتي، ابن حجر: ص٦٤٢.
(٤) الإصابة: ١١٨/٧.
(٥) ترجمته عند: ابن بشكوال، الصلة: ٨٤١/٣؛ ابن الأبار، المعجم: ص١١٤.

له، في سفرين، وهو كتاب حسن حفيل، وكتاب آخر أيضاً في أوهام كتاب الصحابة المذكور»[١]. ويبدو أنه كان مهتماً بمثل هذا النوع من التأليف، فله أيضاً تأليف في بيان أوهام معجم الصحابة لابن قانع (ت٣٥١هـ/ ٩٦٢م)[٢].

وقد بلغت التراجم التي استدركها ابن فتحون قريباً من تراجم الاستيعاب نفسه[٣]، مما يدل على سعة المادة التي كتبها ابن فتحون وأهميتها، ولهذا السبب فإن طلبة العلم كانوا يقصدونه ليأخذوا عنه ما كتبه على (الاستيعاب) من استدراكات، وقد قصده لهذا الغرض القاضي عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٨م) فحدَّث عنه بمؤلَّفيه المشار لهما[٤]، وابن بشكوال (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، وابن الدباغ، وغيرهم[٥].

**ت ـ أبو محمد عبدالله بن علي اللخمي الرشاطي (ت٥٤٢هـ/ ١١٥٠م)[٦]**: كان يسكن المرية، قال عنه ابن الأبار: «كان مشاركاً في اللغات والآداب ومتحققاً بالآثار والأنساب»[٧]، ويبدو من خلال سيرته أنه كان مهتماً بالتاريخ عالماً بالنسب[٨]، حتى وصفه الذهبي بـ (النسابة)[٩]،

---

(١) الصلة: ٨٤١/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٨٤١/٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢٨٠/١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون: ٨١/١.
(٣) ابن حجر، الإصابة: ١/١.
(٤) القاضي عياض، الغنية: ص١٤٩. ترجمته عند: ابن بشكوال، الصلة: ٦٦٠/٢؛ ابن الأبار، المعجم: ص٣٠١.
(٥) ابن الأبار، المعجم: ص١١٥.
(٦) ترجمته عند: ابن بشكوال، الصلة: ٤٤٨/٢؛ ابن الأبار، المعجم: ص٢٢٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١٣٠٧/٤؛ السيوطي، طبقات الحفاظ: ص٤٧٠.
(٧) المعجم: ص٢٢٣.
(٨) ابن بشكوال، الصلة: ٤٤٩/٢.
(٩) تذكرة الحفاظ: ١٣٠٧/٤.



والكتاب الذي ألّفه يدل على ذلك وهو: (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار)[1]، وغالباً ما يذكره المؤرخون باسم (الأنساب)[2].

والملاحظ على نقولات ابن حجر من هذا الكتاب أن الرشاطي كان قد تتبّع النقص الحاصل في تراجم الاستيعاب فأضافها لكتابه هذا. كما أنه تتبع بعض الأسماء وضبطها مقارنة بما وردت في (الاستيعاب)، وهو كذلك استدرك على ابن فتحون ما فاته من التراجم، فقد تكرر عند ابن حجر مرات عدة قول الرشاطي: «لم يذكره أبو عمر ولا ابن فتحون»[3].

**ث ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى المعروف بابن الأمين (ت٥٤٤هـ/١١٤٨م)**[4]: من علماء قرطبة، قال عنه ابن بشكوال: «كان من جلّة المحدِّثين وكبار المسندين والأدباء المتقنين، من أهل الرواية والثقة والضبط والإتقان»[5]، وقد استدرك على (الاستيعاب) بكتاب سماه (الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام)[6]، ويبدو أنه أيضاً من الكتب المهمة التي سدَّت جزءاً من الثغرات الحاصلة في كتاب الاستيعاب كما يتبين من اقتباسات ابن حجر الكثيرة منه[7].

---

(١) ابن بشكوال، الصلة: ٤٤٩/٧؛ ابن الأبار، المعجم: ص٢٢٣.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد في رواة السند والمسانيد: ٢١٣/٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١١٧/٤؛ الإصابة: ٢١/١، ٦٣/١؛ السيوطي، طبقات الحفاظ: ص٤٧٠.

(٣) ينظر على سبيل المثال: الإصابة: ٤٩/١، ١٠٣/١، ٤٦٣/١، ٥٩١/١، ١٧/٢، ٤٦٢/٢، ٩/٣، ٣٢٥/٣... وغيرها.

(٤) ابن بشكوال، الصلة: ١٦٦/١؛ ابن الأبار، المعجم: ص٧٠.

(٥) الصلة: ١٦٦/١.

(٦) ابن الأبار، المعجم: ص٧١.

(٧) ينظر: تهذيب التهذيب: ١٢١/١، ٤٠٥/٣، ٢٤٦/٦، ٣٢٥/٦؛ الإصابة ٣٥٧/١، ٤٢٨/١، ٤٥٨/١، ٥٤٧/١، ٤٣/٣، ٥٤٨/٣. وقد بلغت اقتباسات ابن حجر منه في الإصابة (٤٩) موضعاً، مما يدل على أهمية هذا الكتاب.

ج - أبو الوليد يوسف بن عبدالعزيز المعروف بابن الدباغ (ت٥٤٦هـ/ ١١٥٠م)[١]: وهو من أهل قرطبة، قال عنه ابن بشكوال: «كان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأزمانهم وضعفائهم وأعمارهم وآثارهم»[٢]، وكان من المهتمِّين بكتاب (الاستيعاب) فكتب استدراكاً له انتفع به ابن حجر العسقلاني في الإصابة[٣].

وهناك عدد آخر من العلماء الذين استدركوا على (الاستيعاب)، لا يتسع المجال لذكرهم، منهم يوسف بن محمد التنوخي (ت٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) وله (الارتجال في أسماء الرجال)[٤]، واستدرك عليه أيضاً محمد بن عبدالواحد الغافقي المعروف بالملاحي (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)[٥]، كما ونجد العديد من الإضافات التي استدركها ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) في كتابه الشهير (أسد الغابة)، ثم ختمها ابن حجر العسقلاني بكتابه الفريد (الإصابة في تمييز الصحابة) وجمع ما فات السابقين من تراجم وصنفها وقسمها، حيث لم يدع مجالاً للتذييل أو الاستدراك على كتابه[٦]، رحمهم الله تعالى أجمعين.

إن هذا الاهتمام الكبير بكتاب (الاستيعاب) قد أعطى للكتاب قيمة علمية كبيرة، وقد زادت هذه القيمة بالتقارب الزمني، وعلى الرغم من ظهور عدد من المصنفات التي تدور حول الموضوع نفسه، فإن قيمة (الاستيعاب) بقيت راسخة في صدور العلماء، ومما يدل على ذلك ظهور عدد من المختصرات التي عنيت بإبراز قيمته وتيسيره بين يدي الناس، ومن أهم هذه

---

(١) ينظر ترجمته عند ابن بشكوال، الصلة: ٩٨٧/٣؛ ابن الأبار، المعجم: ص٣٢٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١٣١٠/٤؛ السيوطي، طبقات الحفاظ: ص٤٧١.

(٢) الصلة: ٩٧٩/٣.

(٣) وقد ذكر هذه الاستدراكات في (٤٦) موضعاً من الإصابة: ١٤٧/١، ٣٢٣/١، ٥٥١/١، ٥٥٩/١، ١٣٧/٣، ٢٨٦/٣، ٤٨٠/٤، ٥٩٧/٤، ٣٤٨/٥.. وغيرها.

(٤) الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص٢٠٦.

(٥) ابن الأبار، التكملة: ٦١٠/٢؛ السيوطي، طبقات الحفاظ: ٤٩٧/٢.

(٦) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢٦١/٦ - ٢٦٢.

المختصرات: (ميدان السابقين وحلية الصادقين المصدقين في عرض كتاب الاستيعاب)[1]، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت٦٣٤هـ/ ١١٣٧م)[2]، وكتاب (روضة الأحباب في مختصر الاستيعاب) لشهاب الدين أحمد بن يوسف بن إبراهيم الأدرعي المالكي[3]، ثم هذب هذا المختصر ابن أبي طي يحيى حميدة الحلبي (ت٦٣٠هـ/ ١١٣٣م)[4].

وأخيراً.. فإن العناية الكبيرة التي نالها كتاب (الاستيعاب)، قد تأتّت من أصالة هذا الكتاب وإخلاص مؤلفه في عمله وإتقانه له، ورغم أن هذا العمل لم يكن ليخلو من ثغرات، إلا أنها في كل الأحوال قد كوّنت لنا نوعاً من العطاء الفكري والتفاعل الكبير بين الكتاب والذين قرؤوه من العلماء، وأقل ما نقول عن هذه الاستدراكات والذيول والإضافات أنها قد زادت من بريق الكتاب ولم تقلل من قيمته.

## عناصر الترجمة

إن المادة الموجودة في ***«الاستيعاب»*** تختلف من ترجمة إلى أخرى، بحسب شهرة الصحابي وسابقته في الإسلام، ومساهماته السياسية أو العسكرية أو الفكرية، كما إن هذا قد أثّر في توزيع المادة في الكتاب، فنجد تفصيلاً واضحاً لمشاهير الصحابة، وتراجمهم تحتلُّ صفحات عديدة، بينما لا نجد ذلك في غيرهم ممن أسلم متأخِّراً ولم تكن له إسهامات في الحياة العامة، فلم تتعدَّ تراجم بعض منهم السطرين، ومن الطبيعي أن قلّة المادة المتوفِّرة تحت يد المؤلِّف كانت من الأسباب الرئيسة في ذلك، ولبيان أهم المحتوى في تراجم ***«الاستيعاب»*** يمكن تفصيل عناصرها بالآتي:

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٣.

(٢) ابن عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ٤/٩٠؛ ابن فتحون، الديباج: ص١٢٢.

(٣) لم أقف على وفاته، وينظر الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص٢٠٦.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون: ١/٨١؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة: ص٢٠٦.

## ١ ـ الاسم والنسب:

يرتبط هذان العنصران في تراجم الصحابي ارتباطاً وثيقاً لا يمكن الفصل بينهما، لأنها تشكِّل عنصراً بارزاً من عناصر معرفة الصحابة، وتبدأ الترجمة بذكر الاسم الأول للصحابي، ثم ذكر اسم أبيه وجدِّه، وقد يذكر الاختلاف في اسمه أو اسم أبيه، ويرجِّح ما يراه مناسباً. والملاحظ أن ابن عبدالبر يسهب في إرجاع الاسم إلى أصوله، مثال ذلك ما ذكره في ترجمة تميم الداري الذي ذكر له ولآبائه (اثنا عشر) اسماً ثم يقول: «ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم، يكنى أبا رقية بابنة له تسمَّى رقية، لم يولد له غيرها»[(١)]، ومقارنة بالتراجم التي ذكرها المؤرِّخون لتميم الداري، يبدو أنه كان قريباً من ابن سعد في طريقة ذكر الاسم والنسب وعليها سار[(٢)]، وهي الطريقة الوسطى عند المؤرِّخين، فليس فيها مبالغة ابن حبان، الذي يرجع نسب تميم الداري إلى قحطان، على أساس أن قبيلته يمنية[(٣)]، وهو تفصيل لا حاجة له، ولا اختصار البخاري، الذي لم يذكر له إلا اسم أبيه وكنيته[(٤)]، في حين يسلك ابن حجر مسلكاً وسطاً في ذلك فيذكر له ستة آباء[(٥)].

ويمكن مقارنة الأثر الذي تركه ابن سعد في أسلوب ابن عبدالبر في التعريف بالنسب في كثير من التراجم، مثل ترجمة حارثة بن النعمان الذي يذكر ابن سعد نسبه إلى غنم[(٦)]، ويضيف له ابن عبدالبر ابن النجار الأنصاري[(٧)]، ويتكرر هذا في تراجم عدد من الصحابة، منهم على سبيل

---

(١) الاستيعاب (١/١٩٣).
(٢) الطبقات (٧/٤٠٨).
(٣) الثقات (٣/٣٩).
(٤) التاريخ الكبير (٢/١٥٠).
(٥) الإصابة (١/٣٦٧).
(٦) الطبقات (٣/٤٨٧).
(٧) الاستيعاب (١/٣٠٦).

المثال لا الحصر: البراء بن معرور الأنصاري[1]، عقبة بن الحارث بن عامر[2]، عبدالله بن عامر بن كريز[3]، وعبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب[4]، ومن خلال هذه التراجم يتَّضح لنا أن ابن عبدالبر سار على خطى ابن سعد في ذكر النسب كاملاً، ثم ضاف لمساته الخاصة عليه فينسبه بقوله: «القرشي» أو «الأنصاري الخزرجي» أو «الأنصاري السلمي» أو «الأنصاري الزرقي» أو «الخزاعي» أو «الثقفي» وغيرها، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن ابن عبدالبر كان يعوِّل على ابن سعد في إيراد أسماء الصحابة وأنسابهم، وكان اختياره لابن سعد موفقاً لثقته وأمانته العلمية وقيمة المعلومات في طبقاته.

ثم يذكر ابن عبدالبر كنية المترجَم له أو الاختلاف فيها إن كان هناك اختلاف، مثل ذكره الاختلاف في كنية البراء بن عازب الذي: «يكنَّى أبا عمارة، وقيل: أبا الطفيل، وقيل: يكنى أبو عمرو، وقيل: أبو عمر، والأشهر والأكثر أبو عمارة، وهو أصح إن شاء الله تعالى»[5]، فيرجح ما يراه مناسباً منها، بالاعتماد على التسمية الأكثر شهرة، وهي الكنية التي اختارها ابن سعد[6]، وخليفة بن خياط[7]، والبخاري[8]، والأمثلة على ذلك كثيرة[9].

---

(١) ابن سعد، الطبقات (١١٨/٣)؛ الاستيعاب (١٥١/١)، وأضاف إلى النسب (الأنصاري السلمي الخزرجي).
(٢) ابن سعد، الطبقات (٤٤٧/٥)؛ الاستيعاب (١٠٧٢/٣)، وأضاف ابن عبدالبر للنسب (القرشي النوفلي).
(٣) ابن سعد، الطبقات (٤٤/٥)؛ الاستيعاب (٩٣١/٣)، وأضاف ابن عبدالبر للنسب (القرشي العبشمي).
(٤) ابن سعد، الطبقات (٥٠/٣)؛ الاستيعاب (١٠٢٠/٣)، وأضاف للنسب (القرشي المطلبي).
(٥) الاستيعاب (١٥٥/١).
(٦) الطبقات (١٧/٦).
(٧) الطبقات ص ٨٠.
(٨) التاريخ الكبير (١١٧/٢).
(٩) ينظر أمثلة أكثر في الاستيعاب ترجمة: الحجاج بن عِلاط السلمي (٣٢٥/١)، وخالد بن=

وممّا مرَّ يتَّضح أن العناية التي أولاها ابن عبدالبر بذكر أسماء الصحابة كانت عناية جيدة، اعتمدت على التعريف المفصَّل باسم الصحابي ونسبه وكنيته والسبب في تسميته، كما شملت جوانب أخرى غفل عنها العديد ممن كتب في هذا الجانب، منها ذكره لإخوة الصحابي وآبائه، لكي يكون نفع القارىء بها أكبر، وكان ابن الأثير من المعجبين بهذه الناحية في «*الاستيعاب*»، فكتب يقول: «ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب، وأحوال الشخص ومناقبه، وكل ما يعرف به، حتى إنه يقول: هو ابن أخي فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية...»[(1)]، وهذه من الأمور الجيدة التي وضعها ابن عبدالبر في كتابه.

**٢ ـ المولد:**

يأتي ذكر المولد بالمرتبة الثانية، بعد ذكر الاسم والنسب والكنية واللقب، هذا في حالة توفّر معلومات تخصُّ هذا الجانب، وقد اعتنى ابن عبدالبر جهد الإمكان في ذكر مواليد الصحابة، وقد واجهته معضلة حقيقية في ذلك، لعدم توفُّر مواليد كثير من الصحابة، فعانى كثير من التراجم من قصور في هذه الناحية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أهمية هذا الجانب في اتصال سند الرواية للنبي ﷺ، كما أنه أمر مهم في معرفة صحة الصحبة عن النبي ﷺ وعدمها، ومن ثم إدراك مثل هؤلاء الرواة للنبي ﷺ.

ومثل هذا الموضوع من البحث يشكِّل أهمية بالغة في عرف المحدِّثين والمؤرِّخين، ومثال ذلك رواية عبدالرحمن بن عائش عن النبي ﷺ الذي اختلف في صحة صحبته، حتى قال البخاري: «له حديث واحد إلا أنهم

= الوليد (٤٢٧/٢)، وزيد بن أرقم (٥٣٥/٢)، وسمرة بن جندب (٦٥٣/٢)، وعبدالله بن مغفل (٩٩٦/٣)، وقتادة بن النعمان (١٢٧٤/٣)، والمقدام بن معد يكرب (١٤٨٢/٤) وغيرهم.

(١) أسد الغابة (١١/١).

مضطربون فيه»[1]، وحصل هذا الاضطراب من رواية خالد بن اللجلاج عنه حديثاً لم يذكر في سماع لابن عائش من النبي ﷺ، فوهم بعض الرواة ونسب السماع لابن عائش، وهذا خطأ[2].

ومن هذا المثال يتَّضح أن إثبات الصحبة مهمٌّ في اتصال رواية الحديث عن النبي ﷺ، ومنه نشأ اهتمام المحدِّثين والمؤرِّخين في تدوين مواليد الصحابة من كونها سنداً قوياً لإثبات الصحبة، ومع ذلك فإن ارتباط الصحبة يأخذ حيِّزاً أكبر من هذا، إذ إن الرواية مرتبطة بعوامل أخرى عديدة، أهمها الرواية عن النبي ﷺ حتى ولو كانت حديثاً واحداً، فعندما قيل لـ: «أنس بن مالك: أأنت آخر من بقي من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: بقي قوم من الأعراب، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي»[3].

إن ذكر المواليد عادة ما يعتمد على المعلومات المتوفرة في بطون الكتب، وفي الروايات الشفهية المنقولة عن طريق الإسناد وسلسلة الشيوخ، ولم تكن بين يدي ابن عبدالبر الكثير من التواريخ المذكورة لمواليد الصحابة، ولكنه حاول جهد الإمكان تتبُّع مواليدهم، بالاعتماد على أبرز الحوادث التاريخية، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وقد وجدناه في أحيان كثيرة يعرض عن ذكر مثل هذه المواليد؛ لعدم توفُّر معلومات تخصُّ هذه الناحية، ومن الأمثلة على ذلك في ترجمة: السائب بن أبي لبابة الذي قال عنه: «ولد على عهد رسول الله ﷺ»[4]، أرَّخ ابن عبدالبر في كتابه ***«الاستيعاب»*** لعدد من المواليد بهذه العبارة، كما في ترجمة: سعد بن زيد

---

(١) التاريخ الكبير (٣/٣٨٢).

(٢) والذي جعل رواية ابن عائش مضطربة كما يقول العسكري: «هي رواية رواها الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد فقال: سمعت النبي ﷺ، وهو خطأ». تصحيفات المحدثين (٢/٨٦٩)؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (٢/٨٣٨).

(٣) تدريب الراوي (٢/٢١١).

(٤) الاستيعاب (٢/٥٧٥).

الأنصاري[١]، وعبيد بن عمير الليثي[٢]، وعقبة بن نافع الفهري[٣]، وعلي بن عبيدالله[٤]، وعون بن جعفر بن أبي طالب[٥]، وكثير بن الصلت[٦]، والمغيرة بن نوفل[٧]، وأبو مرة عروة بن مسعود[٨]. والملاحظة التي يمكن أن نلاحظها على هذه المواليد أن معظم أصحابها، إن لم نقل كلهم، لم تثبت لهم رواية مباشرة عن النبي ﷺ، بل إن الكثير منهم ممن روى عن كبار الصحابة مثل الخلفاء الراشدين ﷺ.

ويعلِّل ابن عبدالبر ذكر هؤلاء ضمن الصحابة بقوله في آخر أسطر له في ترجمة علي بن ربيعة: «ولا تصحُّ له عندي رواية، إنما ذكرنا على شرطنا فيمن ولد بمكة أو المدينة بين أبوين مسلمين على عهد رسول الله ﷺ»[٩].

وقد أولى ابن عبدالبر أهمية أكبر لولادات المشاهير من الصحابة، فقد أرَّخ لها بما اشتهر في ذلك الوقت من أحداث، فقال في ترجمة عثمان بن عفان ﷺ: «ولد في السنة السادسة بعد الفيل»[١٠]، وقال في ترجمة عبدالرحمن بن عوف ﷺ: «ولد بعد الفيل بعشر سنين»[١١]، وقال في ترجمة عمر بن الخطاب ﷺ: «ولد عمر ﷺ بثلاث عشرة سنة»[١٢]، وهذه

---

(١) الاستيعاب (٢/٥٩٢).
(٢) المصدر نفسه (٣/١٠١٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/١٠٧٥).
(٤) المصدر نفسه (٣/١١٣٤).
(٥) المصدر نفسه (٣/١٢٤٧).
(٦) المصدر نفسه (٣/١٣٠٨).
(٧) المصدر نفسه (٣/١٤٤٨).
(٨) المصدر نفسه (٤/١٧٥٥).
(٩) المصدر نفسه (١/١١٣٤).
(١٠) المصدر نفسه (٣/١٠٣٨).
(١١) المصدر نفسه (٢/٨٤٤).
(١٢) المصدر نفسه (٣/١١٤٥)، ويعني بذلك بعد عام الفيل.

التواريخ قد أرّخت للصحابة من أهل مكة، ولم تقتصر على المهاجرين، بل شملت من أسلم منهم بعد الفتح، فأرّخ لولادة أبي سفيان صخر بن حرب بقوله: «ولد قبل الفيل بعشر سنين»(١).

وحين يبدأ بذكر الدور المدني من التراجم، نجده يؤرِّخ للمواليد بأبرز الأحداث أيضاً، فقال عن ولادة زياد بن أبي سفيان بأنه: «ولد عام الهجرة»(٢)، وعن أبي الطفيل عامر بن واثل: «وُلد عام أحد»(٣)، وهو أيضاً تاريخ لولادة يزيد بن أمية(٤)، ووُلد سهل بن أبي حَثْمَة سنة: «ثلاث من الهجرة»(٥)، وولد أبو إدريس الخولاني: «عام حنين»(٦).

ومن الجدير بالذكر أن المعلومات التي كانت متوفرة عند ابن عبدالبر قليلة نسبياً إذا ما قورنت بعدد التراجم التي تضمَّنها كتاب الاستيعاب، فقد ذكر تاريخ ولادة (٢٢٧) ترجمة من تراجم الكتاب، في حين ترك عدداً كبيراً من التراجم من دون أن يذكر لها ولادة، وهذا أمر طبيعي إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قلّة التواريخ التي تخصُّ هذه المواليد، وعلى الرغم من ذلك، فقد عوَّض ابن عبدالبر النقص الحاصل في هذا الجانب بذكر أعمار عدد من التراجم، وإن كانت هذه محدودة جداً، وفي أرقام البعض منها شيء من المبالغة، ونمثِّل لذلك ما ذكره في ترجمة حسان بن ثابت ﷺ: «أنه عاش مائة وعشرين سنة، منها ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام»(٧)، وزرّ بن حبيش الذي عاش: «مائة واثنتين وعشرين سنة»(٨)، وحماد بن سلمة الذي:

(١) الاستيعاب (١٦٧٧/٤).
(٢) المصدر نفسه (٥٢٣/٢).
(٣) المصدر نفسه (١٦٩٦/٤).
(٤) المصدر نفسه (١٥٧١/٤).
(٥) المصدر نفسه (٦٦١/٢).
(٦) المصدر نفسه (١٥٩٥/٤).
(٧) المصدر نفسه (٣٥١/١).
(٨) المصدر نفسه (٥٦٤/٢).

«عاش حتى شهد مع علي ﷺ صفين»[1]، وقال عن عاصم بن عدي بأنه: «عاش عشرين ومائة سنة»[2]، وفي بعض الأحيان يوهم في تحديد عمر المترجم، فقال عن ترجمة المقدام بن معد يكرب: «عاش إلى زمن عبدالملك»[3].

ومن خلال هذا يتَّضح أن ابن عبدالبر لم يدَّخر جهداً في تتبُّع مواليد من ترجم لهم في الاستيعاب، وخصَّ المشهورين منهم باهتمام خاص، ومع ذلك فإن القصور الذي يجده القارىء المتتبِّع للولادات لم يكن تجاهلاً من مؤلِّفه بقدر ما كان ضآلةً للمادة المتوفِّرة في بطون الكتب والروايات المسندة عن هذا الجانب. وقد عوَّض ابن عبدالبر النقص الحاصل في هذا الجانب بذكر الوفيات التي اهتمَّ بها كثيراً وركَّز عليها وجعلها من عناصر الترجمة الهامة أكثر من تركيزه على المواليد.

### ٣ ـ الإسلام والمشاهد:

إن إسلام الصحابي هي نقطة تحوُّل هامة في حياته، وهي التي تخرجه من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ولذلك ارتبطت هذه الناحية بتراجم الصحابة كثيراً، وعدَّت من الأمور الهامَّة التي ينبغي الوقوف عليها، وهي التي حدَّدت في كثير من الأحيان مكانة الصحابي من حيث قدم إسلامه وشهوده المشاهد؛ وعدَّت هذه الناحية من النواحي المنهجية المعتمدة في تقسيم طبقات[4] الصحابة، بالنظر إلى السبق بالإسلام والهجرة وشهود

---

(١) الاستيعاب (٢/٦٥٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/٧٨٢).

(٣) المصدر نفسه (٤/١٤٨٣).

(٤) الطبقة، لغةً: جماعة اشتركوا في السن والعلم ونحو ذلك، قيل: يجمعهم الحال الذي كانوا عليه. وفي الاصطلاح: عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ. [ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص ١٨٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة «طبق» (١٠/٢٠٩)].

المشاهد مع الرسول ﷺ[1]، فعلى هذا الأساس قسّمهم ابن سعد إلى خمس طبقات:

**الأولى:** البدريون.

**الثانية:** من أسلم قديماً ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحداً وما بعدها.

**الثالثة:** من شهد الخندق فما بعدها.

**الرابعة:** مسلمة الفتح فما بعدها.

**الخامسة:** الصبيان والأطفال[2].

وعدّهم ابن حبان طبقة واحدة[3]، وقد أخذ بالحسبان صحة روايتهم عن النبي ﷺ، ولا فرق حينئذ بينهم[4].

أما الحاكم فكان أكثر تفصيلاً، فصنّفهم إلى اثنتي عشرة طبقة[5].

وإبراز مثل هذه الناحية عند العلماء الذين اهتمُّوا بالتدوين في علم الرجال أمر ضروري، حتى في تحديد الصحبة وثبوت الرواية عن النبي ﷺ، ومثل لذلك برواية عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي الذي أسلم بعد وفاة النبي ﷺ وليست له صحبة[6]، وبذلك فإنه لا يعدُّ ضمن طبقة الصحابة.

وفي كتاب ***«الاستيعاب»*** عناية كبيرة بذكر إسلام الصحابي والمشاهد التي شهدها، حتى بعد وفاة النبي ﷺ، ويحدّد للإسلام عادة أحداث تاريخية معينة سواء أكانت هذه الأحداث في الدور المكي أم المدني؛ فقال في

---

(١) الحاكم، معرفة علوم الحديث ص ٤٢ ـ ٤٥؛ ابن جماعة، المنهل الروي (٢/٢٢١).
(٢) السيوطي، تدريب الراوي (٢/٢٢١).
(٣) الثقات (١/١٠).
(٤) ابن حجر، نزهة النظر ص ١٨٦.
(٥) معرفة علوم الحديث ص ٤٢ ـ ٤٥؛ ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٢.
(٦) ابن أبي حاتم، المراسيل (٢/١٢١).

ترجمة أبي بكر الصدِّيق ﷺ: «وهو أول من أسلم من الرجال... وأول من صلَّى مع رسول الله ﷺ»[1]، أما أرقم ابن أبي الأرقم ﷺ فقد: «أسلم بعد عشرة أنفس»[2]، وأسلم بسر بن سفيان الخزاعي سنة ٦هـ[3].

وربما أورد قصة إسلام الصحابي على سبيل العظة والعبرة مثل إسلام ثمامة بن أثال[4]، وتكثر عبارة: «أسلم يوم الفتح» لأن الكثير من الصحابة كما هو معلوم أسلموا في مثل هذا اليوم[5]، وابن عبدالبر يهتمُّ بذكر الأوائل في مثل هذه المناسبات، مثل قوله في ترجمة جابر بن خالد الأنصاري: «وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى...»[6]، وقال عن ذؤيب بن كليب الخولاني: «كان أول من أسلم من اليمن...»[7]. ومن خلال هذه العبارات يمكن بيان الصيغة التي سار عليها ابن عبدالبر في إبراز إسلام الصحابة بتحديدها وفقاً لما يتيسَّر له من مفردات، كذكره لترتيب الصحابي في الإسلام، أو بالتاريخ على السنين، أو وفق الغزوات، وهي من العناصر المهمة التي احتوتها الترجمة.

ويرتبط إسلام الصحابي بما شهده من مشاهد، وعادة ما يكون هناك

(١) الاستيعاب (٣/٩٦٣).
(٢) المصدر نفسه (١/١٣١).
(٣) المصدر نفسه، من هؤلاء: أسيد بن جارية الثقفي (١/٩٨)، أيمن بن خريم (١/١٢٩)، حي بن جارية الثقفي (١/٤٠٦)، عبدالله بن أبي ربيعة (٣/٨٩٦)، نافع بن ظريب بن عمرو (٤/١٤٩٠)، يعلى بن مرة (٤/١٥٨٥) وغيرها من التراجم.
(٤) الاستيعاب (١/٢١٥).
(٥) وهي ترد في الاستيعاب في عدد من التراجم، منهم: حي بن جارية (١/٤٠٦)، عامر بن كريز (٢/٧٩٨)، عبدالرحمن بن عثمان التيمي (٢/٨٤٠)، نافع بن ظريب القرشي (٤/١٤٩٠)، هشام بن حكيم بن حزام (٤/١٥٣٨)، يعلى بن أمية (٤/١٥٨٥)، أبو هاشم عتبة بن ربيعة (٤/١٧٦٧).
(٦) المصدر نفسه (١/٢١٩).
(٧) المصدر نفسه (٢/٤٦٤).





ارتباط بين الموضوعين، فقال في ترجمة: «أسيد بن جارية الثقفي، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً»[1]، وقوله في ترجمة: «بشير بن سعد بن ثعلبة... شهد العقبة، ثم شهد بدراً هو وأخوه سماك بن سعد، وشهد أحداً والمشاهد بعدها...»[2]، في حين نجد ابن سعد أكثر تفصيلاً في الإسهامات العسكرية (المشاهد) لهذا الصحابي، فيذكر سريَّته التي بعثها رسول الله ﷺ إلى فدك[3] وكان هو على رأسها[4]، أما ابن حجر فلا يهتمُّ بذكر هذه الصفات على أهميتها في ترجمته لبشير بن سعد بن ثعلبة، وإنما يذكر الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي في قصة الهبة لولده[5]، وقد استشهد بعين التمر[6] سنة ١٢هـ/٦٣٣م[7].

وقال في ترجمة حذيفة بن اليمان: «شهد حذيفة نهاوند[8]، فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فتح همذان[9] والري[10] والدينور[11] على يد حذيفة، وكانت فتوحه كلها سنة اثنتين وعشرين»[12]، واللافت

(١) الاستيعاب (٩٨/١)؛ ابن حجر، الإصابة (٨٠/١).
(٢) المصدر نفسه (١٧٢/١).
(٣) قرية من قرى الحجاز، بينها وبين المدينة يومين أو ثلاثة، دخلها المسلمون صلحاً سنة ٧هـ. البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم (١٠١٥/٣، ١٠١٦)، ياقوت الحموي، معجم البلدان (٢٣٨/٤).
(٤) الطبقات (٥٣١/٣).
(٥) والحديث عن النعمان بن بشير قال: «أتى بي أبي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني نحلتُ ابني هذا غلاماً، فقال: **أكلَّ بنيك نحلت؟** قال: لا، قال: **فاردده**». مسلم، الصحيح (١٢٤٣/٣)، النسائي (٢٥٨/٦).
(٦) بلدة معروفة بالعراق جنوب الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان (١٧٦/٤).
(٧) الإصابة (٣١١/١).
(٨) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (٣١٣/٥).
(٩) ينظر: المصدر نفسه (٤١٠/٥).
(١٠) ينظر: المصدر نفسه (١١٦/٣).
(١١) ينظر: المصدر نفسه (٥٣٥/٢).
(١٢) المصدر نفسه (٣٣٥/١).

للنظر أن ابن سعد ذكر شهوده أحداً والمشاهد بعدها، مثل ابن عبدالبر، ولكنه لم يعرج على الإسهامات العسكرية الأخرى لحذيفة بن اليمان[1]، وفعل الخطيب البغدادي الأمر نفسه، رغم طول ترجمته نسبياً[2]؛ بينما اكتفى ابن حجر بعبارة عامة: «وشهد حذيفة فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة»[3]. وقال أيضاً: «شهد طلحة المشاهد كلها»[4]، ويستخدم في بعض الأحيان مصطلحات وصفية مثل قوله: «كان عبدالله بن أنيس مهاجرياً أنصارياً عقبياً، وشهد أحداً وما بعدها»[5]، ومشاهد الصحابي في عصر الراشدين، ف: «كعب بن يسار بن ضبة بن ربيعة العبسي، له صحبة، وشهد فتح مصر، وله خطة بمصر معروفة»[6]، والتفصيل في جهاد الصحابة في الأمصار ومساهماتهم في حملات الفتح لنشر رسالة الإسلام، حيث: «شهد واثلة بن الأسقع بن عبد العزى المغازي بدمشق وحمص، ثم تحوّل إلى بيت المقدس، ومات بها وهو ابن مائة سنة»[7].

ووافق ابن عبدالبر في ذلك ما رواه ابن سعد في ترجمته لهذا الصحابي، فذكر شهوده المغازي في الشام[8]، وذكر هذه الصفة أيضاً ابن أبي حاتم فقال: «وكان يشهد المغازي بدمشق وحمص»[9]، وأخيراً فإن مثل هذه الملاحظات لا يمكن أن تعطينا إلا جزءاً من تلك المعلومات الكثيرة عن جوانب عدة من مشاهد الصحابة، فقد «شهد أبو سفيان حنيناً

(١) الطبقات (٣١٧/٧).
(٢) تاريخ بغداد (١٦١/١).
(٣) الإصابة (٤٤/٢).
(٤) الاستيعاب (٧٦٥/٢).
(٥) الاستيعاب (٨٧٠/٢).
(٦) المصدر نفسه (١٣٢٦/٣)؛ الإصابة (٦١٣/٥).
(٧) الاستيعاب (١٥٦٤/٤).
(٨) الطبقات (٤٠٧/٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (٣٤٩/٦٢)؛ الإصابة (٥٩١/٦).
(٩) الجرح والتعديل (٤٧/٩).

مسلماً، وفقئت عينه يوم الطائف، فلم يزل أعور حتى فقئت عينه الأخرى يوم اليرموك، أصابها حجر فشدخها فَعَمِيَ»[1].

وبهذا استطاع ابن عبدالبر أن يقدِّم لنا صورة واضحة عن إسلام عدد كبير من الصحابة، وإبراز المشاهد مع النبي ﷺ، ومتابعة حركة الفتوح بعد ذلك وإسهامات الصحابة فيها، وهذه من عناصر الترجمة البارزة التي أراد ابن عبدالبر أن يوصلها للقارىء والمتابع لكتابه على حدٍّ سواء.

### ٤ ـ رواية الحديث:

تعدُّ الأحاديث التي رواها الصحابة عن النبي ﷺ من أهمّ الأسباب التي دفعت كثيراً من المؤرِّخين إلى تدوين أسماء الصحابة وضبطها، وتحديد مكان الإقامة والسكنى، ثم الإحاطة بذكر المولد والوفاة، ومن ثم إيراد من روى عنهم من حملة الأحاديث من التابعين، ويؤكِّد ابن عبدالبر على هذه الناحية في مقدمة الاستيعاب بقوله: «ونحن وإن كان الصحابة ﷺ قد كُفينا البحث عن أحوالهم، لإجماع أهل الحق من المسلمين من أهل السُّنة والجماعة على أنهم كلَّهم عدول، فواجبٌ الوقوف على أسمائهم، والبحث عن سيَرهم وأحوالهم؛ لِيُهتَدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله واقتدى به، وأقلُّ ما في ذلك معرفة المرسل من المسند...»[2]؛ ووافق ابن عبدالبر في هذا المقصد ابن الأثير حين قال: «... وأولهم والمقدَّم عليهم أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشدَّ جهلاً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم هم وغيرهم من الرواة...»[3]؛ ومن خلال هذا يتَّضح أن معرفة الصحابي ضرورية في إثبات روايته للحديث، لا سيَّما إذا ما

---

(١) الاستيعاب (٤/١٦٨٠)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (٢٣/٤٢٢)؛ ابن حجر، الإصابة (٣/٤١٢).

(٢) الاستيعاب (١/١٩).

(٣) أسد الغابة (١/١٠).

علمنا قيمة هذه الناحية عند المحدِّثين، بعدِّها أول الحلقات في سلسلة الإسناد للحديث النبوي الشريف[1].

وقد اعتمد ابن عبدالبر على هذه الناحية كونها من عناصر الترجمة الهامَّة من جهة، وبكونها أداة منهجية وجِّهت كثيراً من التراجم توجيهاً حديثياً يمكن تتبّع طرقه بالعودة إلى أصول الروايات عن هؤلاء الصحابة من جهة أخرى، والزاوية التي يمكن أن نسلِّط الضوء عليها هنا، الاعتماد الكبير في تراجم الاستيعاب على هذه الأداة المنهجية، ويمكن أن نبحث هذه الأداة وفق الأنموذج الآتي:

ففي ترجمة إياس بن عبدالله بن أبي ذباب، لم يذكر له ابن عبدالبر ـ بعد اسمه ونسبه ـ غير هذه الكلمات: «مدني، له صحبة، حديثه عند الزهري عن عبدالله بن عبدالله بن عمر عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تضربوا إماء الله**[2] . . .»[3]، وعند العودة إلى الأصول التي بُني عليها سند الحديث، يتبيَّن أن مداره على محمد بن مسلم الزهري، وقد أخذه عنه سفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد، ثم انتشرت الرواية عنهما، وهذا يوضح ناحية هامة من نواحي الترجمة التي بنيت عليها تراجم كتاب الاستيعاب، فمن خلال المقارنة بين هذه الترجمة والتراجم التي أوردها بعض المحدِّثين والمؤرِّخين لإياس بن عبدالله، يمكن أن يتَّضح لنا كيف تعامل ابن عبدالبر

---

(١) مصطفى السباعي، السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٧٥.

(٢) وقد أخرجه أبو داود قال: «حدثنا أحمد بن أبي خلف وأحمد بن عمرو بن السرح قالا: حدثنا سفيان عن الزهري عن عبدالله بن عبدالله قال ابن السرح عبيدالله بن عبدالله عن إياس ابن عبدالله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخَّص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم**». السنن (٢٤٥/٢)؛ وينظر: الدارمي، السنن (١٩٨/٢)؛ ابن ماجه، السنن (١٣٧٩/٢). وينظر: الشكل رقم ٢.

(٣) الاستيعاب (١٢٧/١).

مع هذا الرجل في إثبات الصحبة، والراجح أنه أخذ برأي ابن أبي حاتم الذي أثبت الصحبة له[1]، ولم يوافقه البخاري في ذلك فقال: «ولا يعرف لإياس صحبة»[2]، أما ابن حبان فقد تردَّد في ذلك ولم يجزم بشيء[3]، واللافت للنظر أن ابن حجر لم يرجِّح شيئاً من هذه الآراء، فاكتفى بذكر رأي ابن حبان والبخاري وابن السكن[4].

والملاحظ على هذا الأنموذج أن سند رواية ابن عبدالبر يدور حول الزهري، وعنه أُخذ الحديث، وعند متابعة طرقه في كتب الحديث، نجده قد ورد من أكثر من طريق، وهذه الطرق تلتقي عند الزهري [شكل رقم ٢]، الذي رواه، وهذا يفسِّر لنا السبب الذي من أجله ركَّز ابن عبدالبر ذكر سلسلة السند والتي تنتهي بذكر الزهري ولم يسهب بذكر باقي السند لأنه يتشعَّب ويأتي من أكثر من طريق، وقد اعتمد ابن عبدالبر اعتماداً كبيراً على هذه القاعدة في تحديد كثير من التراجم، بعبارة أخرى يلفت انتباه القارىء إلى رواية الصحابي للحديث، والذي يحدِّد شهرته بين الناس، فيفهم القارىء أن صاحب هذه الترجمة له مساهمة فكرية تمثَّلت بنقل هذه الرواية[5].

---

(١) الجرح والتعديل (٢/٢٨٠).

(٢) التاريخ الكبير (١/٤٤٠).

(٣) الثقات (٤/٣٤)؛ مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م.فلايشهمر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م) ص ٨٢.

(٤) الإصابة (١/١٦٥).

(٥) ينظر على سبيل المثال: الاستيعاب: ترجمة بكر بن أمية (١/١٧٨)، ثابت بن الصامت الشهلي (١/٢٠٥)، جابر بن حابس (١/٢٢٣)، جبل بن جوال الثعلبي (١/٢٧١)، حيي الليثي (١/٣٨٣)، خراشة بن الحارث (٢/٤٤٥)، رزين بن أنس السلمي (٢/٥٠٦)، سيابة بن عاصم (٢/٦٩١)، عبدالله بن سعد الأسلمي (٣/٩١٧)، عروة بن معتب (٣/١٠٦٨)، فديك الزبيدي (٣/١٢٦٨)، كيسان أبو عبدالرحمن (٣/١٣٣٠)، منيب الأزدي (٤/١٤٨٦)، نضرة بن أكثم الخزاعي (٤/١٥٢٤)، وهب بن خنبش (٤/١٥٦٠)، أبو سعيد (٤/١٦٧١)، حبيبة بنت أبي سفيان (٤/١٨٠٨).

وإذا ما علمنا عدد التراجم التي احتواها كتاب الاستيعاب، وفيها هذا المنحى الحديثي في الترجمة - إذا صحَّ التعبير - والتي بلغت (٤٤٠) ترجمة، تتبيَّن لنا السبيل التي سلكها ابن عبدالبر لتحديد هذه التراجم وفقاً لهذه الصورة، ومع ذلك فإن هذه لا تشكِّل سوى خمس تراجم الاستيعاب[١]، أما ما تبقَّى منها، فإنه إما أن لا يكون ذكر للحديث فيه، مثل كثير من التراجم التي شملت الأسماء فقط، والتي أشار إليها ابن حجر فيما بعد وعدَّها تراجم (مختصرة)[٢]، وإما أن تكون تراجم للمشاهير من الصحابة، والتي لا تخفى على عارف روايتهم للحديث. وفي مثل هذه الحالة، وجدنا ابن عبدالبر لا يناقش مسألة روايتهم، لأنها من الأمور المسلَّم بها.

وهناك طريقة أخرى اعتمدها ابن عبدالبر في إرجاع الروايات إلى أصولها، وذلك بالاعتماد على منبع الرواية، وتحديد المصر الذي اشتهرت فيه رواية الصحابي، وتكثر تلك العبارات التي أطلقها ابن عبدالبر على الرواة، ومثال ذلك في ترجمة بشير بن عقربة الجهني، الذي قال عنه ابن عبدالبر: «حديثه عند الشاميين»[٣]، ومن الجدير بالذكر أن هذا الصحابي كان قد انتقل إلى الشام، وبالتحديد إلى فلسطين، ويذكر ابن سعد أنه: «كان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز على الرملة[٤]»[٥]، ولذلك لم يروِ عنه إلا أهل

---

(١) على صورته الأصلية دون إضافة التراجم التي ألحقت بالكتاب.
(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر إلى تلك العبارة التي كرَّرها ابن حجر كثيراً في نقولاته عن ابن عبدالبر، وهي قوله: «ذكره أبو عمر مختصراً»، الإصابة: (٤٦/١)، (١٠٤/١)، (٣٣١/١)، (٥١٤/١)، (٢٨١/٢)، (٥٤٨/٢)، (٤٥٣/٣)، (٥٣٥/٣).. وغيرها من المواضع. والملاحظة التي يمكن الإشارة إليها هنا إلى أنه محق بذلك، فكثير من هذه التراجم (المختصرة) تحتاج إلى المزيد من المعلومات، وربما كان عذر ابن عبدالبر في ذلك غياب هذه المعلومات عنه.
(٣) الاستيعاب (١٧٥/١).
(٤) من مدن فلسطين المشهورة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (٦٩/٣).
(٥) الطبقات (٤٢٩/٧).



الشام فعداده فيهم[1]. وكأن ابن عبدالبر يعني بهذا التوجّه الذي وجّه به ترجمة بشير بن عقربة، ينبّه إلى أن رواية غير الشاميين عنه لا تصحّ، وهذه ميزة كثيراً ما تتكرر في كتاب الاستيعاب، وقد استعمل هذه الأداة في العديد من التراجم فوجّهها بهذا الشكل، فذكر ضمن الشاميين أيضاً سيار بن روح[2]، وكعب ابن عياض الأشعري[3]... وغيرهم[4].

وقد عمّم ابن عبدالبر هذا المصطلح على كثير من الصحابة الذين استقرُّوا في الأمصار، وأخذ أهل هذه الأمصار الرواية عنهم، فذكر من كان حديثه عند البصريين[5]، أو الكوفيين[6]، أو المصريين[7]، وغيرها من

---

(١) ابن حجر، تعجيل المنفعة (١/٥٣).

(٢) الاستيعاب (٢/٦٩٢).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٣٢٣).

(٤) ينظر أيضاً ترجمة مالك بن هبيرة الكندي من المصدر نفسه (٣/١٣٦١)، ومعاوية بن أكثم الخزاعي (٤/١٤٥٢)، ونفير بن المغلس (٤/١٥١٠)، هلال بن الحارث (٤/١٥٤٢)، وأبو أمامة الباهلي الذي قال عنه: «وأكثر حديث عند الشاميين» (٤/١٦٠٢)، وأبو الغادية الجهني (٤/١٧٢٥).. وغيرهم. وقد بلغت التراجم التي حملت عبارة «حديثه عند الشاميين» أو «حديثه عند أهل الشام» ما يقرب من (١١٥) ترجمة.

(٥) ينظر الاستيعاب : ترجمة جابر الحمسي (١/٢٢٥)، حصين بن رزاح (١/٢٢٦)، وحابس بن ربيعة (١/٢٨٠)، الحكم بن أبي العاص (١/٣٥٨)، زهير بن أبي جبل (٢/٥١٩)، عبدالله بن الشخير (٣/٩٢٦)، قتادة بن ملحان (٣/١٢٧٤).. وغيرهم.

(٦) ومن هؤلاء في المصر نفسه: حيان الأنصاري (١/٣١٧)، حذيم بن عمرو السعدي (١/٣٣٦)، خداش بن سلامة (٢/٤٤٣)، زاهر الأسلمي (٢/٥٠٩)، زر بن حبيش (٢/٥٦٣)، سلمان الفارسي (٢/٦٣٨)، طارق بن شريك (٢/٧٥٤)، عروة بن عياض (٣/١٠٦٥).. وغيرهم، وقد بلغ عدد الذين نسبهم ابن عبدالبر (للكوفيين) أو كونهم من (أهل الكوفة) ما يقرب من (١١٩) صحابي.

(٧) ينظر المصدر نفسه، ترجمة خارجة بن حذافة (٢/٤١٨)، زياد بن الحارث الصدائي (٢/٥٣٠)، صلة بن الحارث الغفاري (٢/٧٣٩)، عبدالله بن الحارث (٣/٨٨٣)، مالك بن أزهر (٣/١٣٤٦)، مالك بن عبادة (٣/١٣٥٢)، أبو موسى الغافقي (٤/١٧٦٤)، وقد بلغ عداد من نسبهم ابن عبدالبر بهذه الطريقة (٤٩) ترجمة.

الأمصار، وهذه الناحية مهمة في معرفة الأسلوب الذي سار عليه ابن عبدالبر في توجيه الترجمة توجيهاً حديثياً، ولا غرابة في ذلك لأنه من أهل هذا الفن ومن المتبحِّرين فيه، كما أنه ألَّف هذا الكتاب لمساعدة من يشتغل بالحديث، كما ألَّفه لمن يشتغل بباقي العلوم، والله تعالى أعلم.

**٥ ـ الوفاة:**

إن معرفة وفاة الصحابي ذات أهمية بالغة لكلِّ من يشتغل بالحديث أو بالمغازي والسير أو بالتاريخ، وفي الوقت نفسه تحدِّد لنا روايته والمكان الذي توفِّي فيه. ونحن لا نملك الكثير عن هذا الموضوع، لا سيما وإن المتقدِّمين من المؤرِّخين لم يستطيعوا الحصول على وفيات كلِّ الصحابة المذكورين في بطون الكتب، وفقاً لهذا يمكن أن نحدِّد سمات الوفيات في كتاب الاستيعاب على وفق الآتي:

أ ـ ذكر الوفاة صراحة مع تحديدها باليوم والشهر، وقد كان ذلك للمشهورين من الصحابة، والذين كانت لهم إسهامات واضحة في كثير من الجوانب التي تخصُّ الحياة العامة، مركِّزاً على الجوانب السياسية والإدارية، فذكر ابن عبدالبر وفيات الخلفاء الراشدين بدقَّة مع اليوم والشهر، وربما ذكر الخلاف في وفياتهم. من ذلك ما ذكره في وفاة علي ﷺ من خلاف وتفصيل، وهو يسهب في ذكر الخلاف في ذلك، ويذكر تواريخ متعددة، وربما يذكر من قال ذلك، مثل قوله: «قتل علي ﷺ لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وقيل: أول ليلة من العشر الأواخر..»[١]، والمؤاخذ عليه هنا أنه لا يرجِّح شيئاً من هذه الروايات ترجيحاً واضحاً، إلا أنه يكتفي بذكر الراجح ثم غير الراجح منها، وهذه تجعل القارىء في حيرة من معرفة التاريخ الراجح بين

(١) الاستيعاب (١١٢٢/٣).

هذه الروايات، بينما يذكر غيره من المؤرِّخين الراجح مثل ابن سعد[1] والخطيب البغدادي[2]، وابن حجر[3] وغيرهم.

ب - وفي حالة عدم توفُّر معلومات تتعلَّق بتاريخ الوفاة، فإن ابن عبدالبر يذكر تاريخ الوفاة اعتماداً على تاريخ تقريبي، فعندما ذكر وفاة أبي ثعلبة الخشني قال: «... مات في أول إمرة معاوية، وقيل: مات في إمرة يزيد، وقيل: إنه توفي في سنة خمس وسبعين في إمرة عبدالملك، والأول أكثر»[4]. والملاحظ على هذا التوثيق أن ابن عبدالبر يرجح بين الروايات بالاعتماد على معرفته بالرجال، وتنحو كثير من الوفيات هذا المنحى، ومع ذلك فإنها لا تسلم من الترجيح، حيث قال في ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي السرح: «.. وكانت وفاته قبل اجتماع الناس على معاوية، وقيل: إنه توفي بإفريقية، والصحيح أنه توفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين»[5].

ت - في كتاب الاستيعاب بعض اللمحات الهامَّة التي توضح لنا اعتناءً خاصّاً من ابن عبدالبر بذكر نوع خاص من التعليقات، هذا الأمر الذي يعطينا انطباعاً عن الفكرة التاريخية التي دارت بخلده، فهو يذكر عند الوفاة من صلَّى على جنازته، مثل قوله في ترجمة: «عبدالله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن أربع وستين، وصلَّى عليه عثمان»[6]، وقال في ترجمة أخرى: «توفي

(١) طبقات ابن سعد (٦/١٢).
(٢) تاريخ بغداد (١/١٣٣).
(٣) الإصابة (٤/٥٦٤).
(٤) الاستيعاب (١/٢٧٠).
(٥) المصدر نفسه (٣/٩٢٠).
(٦) المصدر نفسه (٣/٩١٣).

عبادة بن الصامت سنة أربع وثلاثين بالرملة، وقيل: ببيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة»[1].

ث - نرى تأكيد ابن عبدالبر على جهاد الصحابة واستشهادهم، فهو يذكر من قتل منهم في الفتوح ويذكرهم بشيء من الاهتمام والتركيز، مثل روايته عن شيوخه في ترجمة البراء بن مالك الأنصاري: «زحف المسلمون إلى المشركين في اليمامة[2] حتى ألجؤوهم إلى الحديقة، وفيها عدوُّ الله مسيلمة. فقال البراء: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا شرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة، حتى فتحها المسلمون، ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله مسيلمة»[3]، ونلاحظ عدم اكتفاء ابن عبدالبر بهذا، بل نراه ينقل أيضاً رواية الواقدي فيما يخصُّ الوفاة، ويقارنها بما ذكره عن شيوخه، إذ قال: «قال أبو عمر: وذلك سنة عشرين فيما ذكر الواقدي. وقيل: إن البراء إنما قتل يوم تُسْتُر[4]، وافتتحت السوس[5] وانطابلس[6] وتستر سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ...»[7]. إن هذه المقارنة بين الروايات والتركيز بشكل خاص على فتوح المدن، ربما يوضح لنا القصد الذي سعى له ابن عبدالبر من أجل إذكاء روح الجهاد في عصره، الذي أحسَّ بحاجة مجتمعه له في ظلِّ تهديدات الممالك النصرانية، وينطبق هذا أيضاً على ترجمة يزيد بن قيس الذي: «قتل... شهيداً. قال

---

(1) الاستيعاب (٢/٨٠٨).

(2) معركة مشهورة من معارك المسلمين ضد المرتدِّين بعد وفاة النبي ﷺ سنة ١١هـ/٦٣٢م. ينظر تفاصيلها عند: الطبري، التاريخ (٢/٢٧٩ - ٢٨٥).

(3) الاستيعاب (١/١٥٤).

(4) قال عنها ياقوت: «أعظم مدينة بخوزستان اليوم». ينظر: معجم البلدان (٢/٢٩).

(5) وهي أيضاً من مدن خوزستان. المصدر نفسه (٣/٢٨٠).

(6) وهي مدينة تقع بين الإسكندرية وبرقة. المصدر نفسه (١/٢٢٦).

(7) الاستيعاب (١/١٥٥).

العدوي: وجرح يومئذ اثنتي عشرة جراحة»[1].

ج - إن المقارنة بين الروايات لتعطينا انطباعاً بالحسِّ النقدي الذي كان يعرض له ابن عبدالبر من خلال تواريخ الوفيات، فهو يقول على سبيل المثال: «واختلف في وقت وفاة أبان بن سعيد، فقال ابن إسحاق: قتل أبان وعمرو ابنا سعيد بن العاص يوم اليرموك، ولم يتابع عليه ابن إسحاق، وكانت اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر ﷺ، وقال موسى بن عقبة: قتل أبان بن سعيد يوم إجنادين، وهو قول مصعب والزبير وأكثر أهل العلم بالنسب، وقد قيل أنه قتل يوم مرج الصفر، وكانت وقعة إجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصدِّيق ﷺ قبل وفاة أبي بكر ﷺ بدون شهر»[2]، وفي هذا النص يتَّضح جلياً عمق المقارنة التي كان يوليها ابن عبدالبر، والتحقيق الدقيق لتحديد الوفاة، وهو عادة ما يستعمل صيغة التمريض (قيل) للدلالة على ضعف الرواية وعدم رجاحتها.

مما مرَّ يتضح الأسلوب الذي عالج به ابن عبدالبر وفيات الصحابة، وقد اعتمد على التوثيق قدر الإمكان، مع الاهتمام بشكل خاص بالمقارنة بين الروايات وترجيح الممكن منها، كما نرى ذلك الاهتمام بالمقارنة والمتابعة، مثل قوله في وفاة الحسين بن علي ﷺ: «قتل الحسين وهو ابن أربع وخمسين سنة وستة أشهر... وتوفي علي بن أبي طالب وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقتل الحسين بن علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي محمد بن علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة»[3]، إن هذه المقارنة والمتابعة قد تعدَّت إلى المصادر وترجيح الروايات فيها وتعريضها للنقد. كما علَّق على

---

(١) الاستيعاب (١٥٧٩/٤).

(٢) المصدر نفسه (٦٤/١)، وينظر: الطبري، التاريخ (٣٤١/٢).

(٣) الاستيعاب (٣٩٧/١).

قول: «خليفة بن خياط قال: قتل أبو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيداً، وذلك سنة ثمان وثلاثين، وهذا غَلَطٌ منه، وفي كتابه بعد: وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجهني». قال أبو عمر: «سكن عقبة بن عامر مصر وكان والياً عليها وابتنى بها داراً، وتوفي في آخر خلافة معاوية»[1]. كما يمكن القول أنه كان موفّقاً في كثير من الأحيان في رسم نهاية لترجمته بتدوين الوفاة، وهذا ما أعطى عمقاً بيّناً للترجمة، وروحاً تاريخية لها ميَّزت شخصيَّته عن الآخرين.

## النقد والتقويم

### نقد السند:

يحتلُّ السند أهمية كبرى في نقل الخبر عند المسلمين، ويحتلُّ مكانة عظيمة في نفوس العلماء من محدِّثين ومؤرِّخين، وقد أشرنا إلى أن أبسط تعريف للسند بأنه: طريق المتن[2]، أو سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن من مصدره الأول، «وسمِّي هذا الطريق سنداً، إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة المتن إلى مصدره، أو لاعتماد الحفاظ على المسند في معرفة صحة الحديث»[3]، ومن ذلك أَوْلى العلماء المسلمون أهمية كبيرة للسند، بل عدَّه بعض العلماء من خصائص هذه الأمة كما يقول ابن حزم: «ولسنا نأخذ به البتة ولا نضيفه إلى النبي ﷺ، إذ لم نعرف من حدَّث به عن النبي ﷺ، وقد يكون غير ثقة ويعلم منه غير الذي روى عنه، ما لم يعرف منه الذي روى عنه، ومن هذا النوع كثير من نقل اليهود...»[4].

(١) الاستيعاب (١٠٧٣/٣)، وينظر: خليفة بن خياط، التاريخ ص ٢٩٣.
(٢) ابن عبدالبر، التمهيد (٢١/١)؛ ابن الأثير، النهاية (٤٠٨/١)؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة «سند» (٢٢٠/٣)؛ السيوطي، تدريب الراوي (٦٣/١).
(٣) فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٢٣١.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٢).

إن الاهتمام الذي أولاه ابن عبدالبر لدراسة الرجال منذ بواكير طلبه للعلم، قد هيّأ له إمكانية هائلة في معرفة أحوال الرجال جرحاً وتعديلاً وأقوال المحدِّثين بهم، وحاول جهد الإمكان تطبيق هذه المعرفة في كتابه **«الاستيعاب»**، مما أعطى هذا الكتاب مصداقية كبيرة بين الكتب، وجعله يحتلُّ مكانة مرموقة بين كتب تاريخ الصحابة. ولم يقتصر ابن عبدالبر على نقد الحديث الشريف فقط، بل تعدّاه إلى الأخبار من خلال الترجيح بين الروايات على حسب أسانيدها وما نقله المؤرِّخون في ذلك.

ولعلَّ الأمر الذي وظَّفه ابن عبدالبر لخدمة أداته المنهجية هنا، أنه اعتمد على معرفته بالرجال لتحديد النقد على رجال السند، مثال ذلك ما قاله في ترجمة: «أم عجرد الخزاعية، حديثها عند: المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: سمعت أم عجرد الخزاعية تسأل رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله أمر كنا نفعله في الجاهلية، ألا نفعله في الإسلام؟! قال: **«ما هو؟»** قالت: العقيقة، قال: **«فافعلوا عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة»** مثل حديث أم كرز[(١)] والمثنى ضعيف جداً»[(٢)]، والملاحظ على هذا الحديث أن المثنى بن صباح (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م)[(٣)]، روى أن السائلة لرسول الله ﷺ هي أم عجرد الخزاعية، مع العلم أن الرواية المشهورة، والتي أخرجها أهل السنن وغيرهم[(٤)] أن السائلة لرسول الله ﷺ هي أم كرز، وليست أم عجرد، وقد بيَّن ابن عبدالبر أن هذه الرواية هي رواية ضعيفة لحال مثنى بن الصباح،

---

(١) أم كرز الخزاعية ثم الكعبية قال ابن سعد: «أسلمت يوم الحديبية». الطبقات (٢٩٤/٨)؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (١٩٥٢/٤)؛ ابن حجر، الإصابة (٢٨٦/٨).

(٢) الاستيعاب (١٩٤٧/٤).

(٣) ابن سعد، الطبقات (٤٩١/٥)؛ خليفة بن خياط، الطبقات ص ٢٨٣.

(٤) الحديث بالمتن نفسه عند: الدارمي، السنن (١١١/٢)؛ ابن ماجه، السنن (١٠٥٦/٢)؛ أبي داود، السنن (١٠٥/٣)؛ النسائي، السنن (١٦٤/٧)؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٢٦٥/٤).

الذي ضعَّفه معظم المحدِّثين[1]، ويبدو أن أم عجرد لم يرد لها ذكر إلا في هذه الرواية، وربما يكون هذا هو السبب الذي جعل ابن حجر يكتفي بترجمة الاستيعاب ولا يضيف لها أي معلومات حين دوَّنها في إصابته[2]، إن هذا التوظيف الدقيق لنقد رواية المثنى بن الصباح يوضح لنا كيف استثمر ابن عبدالبر أدوات النقد الحديثية للسند، لتوضيح إشكال خبر تاريخي في ذكر أم عجرد الخزاعية، وربما نحكم من خلاله على أنه لا وجود لصحابية تحمل هذا الاسم، أو على الأقل لا وجود لخبر ينسب لها.

وهناك أمثلة عديدة على نقد الرجال في كتاب الاستيعاب، توضح توظيف ابن عبدالبر لعلمه الواسع في معرفة الرجال في النقد التاريخي، ومع ذلك فإن أساس هذا النقد يعتمد على القواعد الحديثية الصارمة التي لا يمكن أن نطبقها بحذافيرها عند نقد الخبر التاريخي، ويبدو أنه كان منتبهاً لهذه الحالة، فكان يؤكِّد أن نقده إنما هو في كثير من الحالات نقد حديثي، فعند ذكره أبا عرس أورد له حديثاً عن النبي ﷺ: **«من كانت له ابنتان فأطعمهما...»** الحديث من وجه مجهول ضعيف[3].

إن الأسلوب الذي اتَّبعه ابن عبدالبر، يدلُّ على عمق المعرفة التي كان يتمتَّع بها، بالإضافة إلى استعماله التعابير المتعارف عليها في نقده للرجال

---

(1) ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (٣/٢٠)؛ المزي، تهذيب الكمال (٢٧/٢٠٣)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (١٠/٣٢)؛ لسان الميزان (٧/٣٤٩).

(2) ونقل ابن حجر هذا النص عن ابن عبدالبر ولم يعلِّق عليه؛ الإصابة (٨/٢٥٦).

(3) الاستيعاب (٤/١٧١٣). قال ابن حجر: «هكذا ذكره مختصراً، وساقه الحاكم أبو أحمد، من طريق إسحاق بن إدريس عن عبدالله بن حرملة عن عتبة بن عامر، أو عامر بن عتبة عن أبي عرس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له ابنتان فأطعمهما وسقاهما وكساهما من جدته، فصبر عليهما، كنَّ له حجاباً من النار، ومن كانت له ثلاث فصبر عليهن...»** فذكر مثله، وزاد: **«ولم يكن عليه صدقة ولا جهاد»**، الإصابة (٧/٢٧١). ولم أجد هذا الحديث عن أبي عرس في كتب الحديث المعتمدة.

مثل قوله على أحد الأحاديث أنه: «ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة»[1]، أو قوله على آخر: «ولا يصح، لأنه انفرد به حرام بن عثمان[2]، وهو متروك عند جميعهم»[3]، وربما لجأ إلى أسلوب المقارنة بين الرجال، ودفع الالتباس عن المتشابه من أسماء الرواة مثل قوله: «والمغيرة بن عبدالرحمن هذا هو الخزامي، ضعيف[4]، وليس بالمخزومي[5] الفقيه صاحب الرأي، ذلك ثقة في الحديث، حسن الرأي»[6]، أو تضعيف صحبة القعقاع بن عبدالله[7]: «لأن حديثه لا يأتي إلا من طريق عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد[8]، وهو ضعيف»[9]، ويستخدم في معظم الأحيان مصطلحات الجرح والتعديل: «... وحديثه يدور على خالد بن عمرو القرشي الأموي[10]

---

(١) الاستيعاب (١/١٩٥).

(٢) قال عنه البخاري: «منكر الحديث»، الضعفاء الصغير ص ٣٨؛ وينظر: العقيلي، الضعفاء الكبير (١/٣٢٠)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٣/٢٨٢)؛ ابن حجر، لسان الميزان (٢/١٨٢).

(٣) الاستيعاب (٤/١٧٨٥).

(٤) ينظر: الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السّتة (٢/٢٨٧)؛ ابن حجر، تقريب التهذيب (١/٥٤٣).

(٥) فقيه مشهور (ت ١٨٦هـ/٨٠٢م). ترجمته عند: ابن سعد، الطبقات (٥/٢١٠)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (١٠/٢٣٦).

(٦) الاستيعاب (٢/٤٠١).

(٧) هو القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي المكي، اختلف في صحبته، والراجح أنه يروي عن أبيه. ينظر: ابن حبان، الثقات (٥/٣٢٣)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (٢٧/٣٣٣)؛ ابن حجر، الإصابة (٥/٥٥٤)، تعجيل المنفعة (١/٣٤٤).

(٨) هو المقبري، أبو عباد، قال عنه أحمد بن حنبل: «منكر الحديث»، وقال عنه ابن معين: «ضعيف»، وقال ابن حبان: «كان ممن يقلب الأخبار ويهم في الآثار». ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٥/٧١)؛ ابن حبان، المجروحين (٢/٩)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (٥/٢٠٩).

(٩) الاستيعاب (٣/١٢٨٢).

(١٠) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٣/٣٤٣)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (٨/٢٩٩)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣/٩٤).

ومنكر الحديث متروك الحديث»[1]، والأمثلة كثيرة على مثل هذا النقد[2].

نستطيع القول أن ابن عبدالبر كان موفَّقاً في توظيفه لنقد الرجال في ***«الاستيعاب»***، إذ تعامل مع أدوات الجرح والتعديل ومصطلحاته بطريقة مبتكرة، جعلت القارىء يقتنع برأيه ويسلِّم له بقوة الحجة، كذلك نجح في ربط النقد الحديثي بالنقد التاريخي، خاصة ونحن نتعامل مع كتاب من ضمن مقاصده إثبات اللقاء بالنبي ﷺ أو عدمه، فأفاد من هذه الناحية، فاختفت تلك الصرامة التي يمكن أن تقيد الخبر التاريخي، وجعلته مرناً على لسان القارىء، والمؤاخذ على ابن عبدالبر هنا اختصاره الخبر وعدم ذكره كاملاً مما يجعل معنى السند مبهماً، ولا يتَّضح إلا بالرجوع إلى المصادر الأخرى.

كما يمكن التلميح هنا إلى اعتبار كثير من المحدِّثين لكتاب ***«الاستيعاب»*** من الكتب التي يعتمد عليها في الحكم على الأحاديث النبوية من حيث الصحة والضعف، لعمق الدراسة فيه، وللجدية التي اعتمدها ابن عبدالبر في دراسة الأسانيد، من ذلك الرواية التي وردت عن: «ممطور الحبشي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه**»[3]، فابن عبدالبر حكم على هذا الحديث قائلاً: «وهو حديث حسن»[4]، وقد أخذ بهذا الرأي عددٌ من العلماء المعتنين بأسانيد الحديث، واعتمدوه في كتبهم، قال المنذري (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): «صحَّح ابن عبدالبر النمري في الاستيعاب رواية ابن ماجه»[5]، وكذلك اعتمد كثير

(١) الاستيعاب (٢/٦٦٦).
(٢) المصدر نفسه (١/٨٦)، (٢/٥٦٠)، (٢/٦٥٢)، (٣/١٣٤٣)، (٣/١٣٩٤)، (٤/١٧٤٤).
(٣) الحديث عند: الترمذي، السنن (٤/٦٢٩)؛ النسائي، السنن (٧/١٣١).
(٤) الاستيعاب (١/٢٨٤)، لم يورد ابن عبدالبر الحديث بطوله.
(٥) عبدالعظيم بن عبدالقوي، الترغيب والترهيب (١/٢٥٦).





من العلماء على ذلك منهم النووي[١] والبوصيري (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م)[٢]، وفي هذا بيان شافٍ لقيمة نقد السند في كتاب **«الاستيعاب»** وأهميته عند المحدِّثين والمؤرِّخين على حدٍّ سواء.

**نقد المتن:**

**المتن في اللغة:** «من كل شيء ما صلب ظهره»[٣].

**وفي الاصطلاح:** «هو ألفاظ الخبر التي تقوم به معانيه»[٤]، وقد اعتنى العلماء المسلمون بنقد المتن كما اعتنوا بنقد الإسناد، وإن كانت طريقتهم ومنهجهم في الأخير أظهر وأبين، إلا أن هذا لا يعني أنهم أهملوا نقد المتن، ولكننا يمكن أن نقرِّر أن عنايتهم بالإسناد كانت أشدَّ على اعتبار أنه الطريقة المثلى للتحقُّق من صحة الخبر، فإذا كان السند ضعيفاً فليس هناك داعٍ للنظر إلى المتن، وهذه هي طريقة المتقدِّمين من العلماء[٥].

وقد تقرَّر عند المحقِّقين من العلماء ضرورة التحري عند عرض الخبر، خاصة عند معارضته مع الحقائق التاريخية والأوضاع الاجتماعية المقررة التي أجمع عليها المسلمون[٦].

ويذهب الدكتور عثمان موافي إلى أن أصحاب منهج النقد التاريخي الأوربي يرون أن مرحلة نقد المتن (المضمون) يجب أن تمرَّ بمرحلتين:

**الأولى:** تصحيح النص وضبطه.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٠٣/٢)، (٢٠٧/٩).

(٢) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١٥٠/٤).

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٣/٤)؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة «متن» (٣٩٨/١٣).

(٤) السيوطي، تدريب الراوي (٧٧/١).

(٥) السباعي، السُّنة ومكانتها ص ٢٤٩.

(٦) فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٣٤٥.

**والثانية:** تفسير النص.

والأولى تعين الثانية بدون أدنى شك، وقد مارس العلماء المسلمون هاتين الطريقتين بمهارة[1]، ويمكن أن نوضح أهمَّ إسهامات ابن عبدالبر في هذين المجالين:

**أ ـ التصحيح:**

ويعني بأبسط تعبير: التحقق من نقل النص وسلامته من التحريف والتصحيف، وهو يدلُّ على: «الخطأ في الكتابة»[2]، وقد حرص العلماء المسلمون على الدقة في توثيق الأسماء بصورة عامة، والدقة في تقييدها، والسبب في ذلك على قول علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ/٨٤٨م): «أشد التصحيف، التصحيف في الأسماء»[3]، وقد حثَّ الخطيب البغدادي طلبة العلم، والمتعاملين مع الأعلام بـ: «تقييد الأسماء بالشكل والإعجام، حذراً من بوادر التصحيف والإيهام في رواة العلم، جماعة تشتبه أسماؤهم وأنسابهم في الخط وتختلف في اللفظ»[4]، ولذلك اعتنى العلماء المسلمون بضبط الأسماء في مؤلَّفاتهم بالطرِق المتوفِّرة تحت أيديهم من ذكر الاسم، مع ما فيه من تقييد لحركاته.

وفي كتاب ***«الاستيعاب»*** نجد عناية كبيرة في ضبط الأسماء والتدقيق فيها، مع ذكر الحركات عند وجود حاجة لها في ضبط الأعلام، فيذكر إن كان الحرف مشدَّداً[5]، أو معجماً[6]، وينبِّه في بعض الأحيان على

---

(١) عثمان موافي، منهج النقد التاريخي ص ١٤٣.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة «صحف» (١٨٦/٩).
(٣) العسكري، أخبار المصحفين ص ٣٣.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٦٩/١)؛ الكفاية في علم الرواية ص ٣٥١؛ السيوطي، تدريب الراوي (١٠٧/١).
(٥) الاستيعاب (١٤٩٦/٤، ١٥٧٣).
(٦) المصدر نفسه (٣١٨/١)، (٦٢٩/٢).





تصحيفات من سبقه من العلماء، مثل تنبيهه على التصحيف الذي وقع في الطبري في نسب رعية السحيمي، إذ نسبه بـ «الهجيمي» وهو تصحيف[1]، أو تصحيف بعض الناس، على تعبير ابن عبدالبر، لأميمة بنت خلف الخزاعية، فذكرها باسم أمينة[2]، وربما وقع لبس ليس بالهيِّن في بعض التراجم، كما قال في ترجمة: «أمامة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، كذا قال بعض الرواة فأوهم وصحّف، ولا أعلم لميمونة أختاً من أب ولا من أم اسمها أمامة»[3].

ولم يسلم من هذا التصحيف كبار المؤرِّخين، فقد استدرك ابن عبدالبر على ابن إسحاق الذي كان يقول في «زيد بن حارثة بن شرحبيل، ولم يتابع على قوله شرحبيل، وإنما هو شراحيل»[4]، وكذلك وقع في هذا التصحيف الزبير بن بكار في اسم: «سليط بن حرملة، وهذا خطأ، إنما هو سويبط ابن حرملة من بني عبدالدار، بدري...»[5]. وكذلك استدرك على الطبري، الذي ذكر في ترجمة يزيد بن ثعلبة بن خزمة فضبط الاسم الأخير: «بفتح الزاي.. هو بسكون الزاي، فليس في الأنصار خزمة بالتحريك»[6].

ولم يسلم ابن عبدالبر نفسه من خطأ التصحيف أيضاً، فقد استدرك عليه في ترجمة شريح بن وهب الحميري، هكذا ذكره، قال ابن حجر: «وهم فيه ابن عبدالبر في اسم أبيه، إنما هو شريح بن أبرهة»[7]، وهكذا

---

(١) الاستيعاب (٢/٥٠٦).
(٢) المصدر نفسه (٤/١٧٩١).
(٣) المصدر نفسه (٤/١٧٨٨).
(٤) المصدر نفسه (٢/٥٤٣).
(٥) المصدر نفسه (٤/١٥٢٦).
(٦) المصدر نفسه (٤/١٥٧٣).
(٧) الإصابة (٣/٣٩٦). وينظر: الاستيعاب (٢/٧٠٢).

أورده ابن أبي حاتم أيضاً[١]، كما استدرك عليه ابن حجر في ترجمة عبدالله بن المعتم، قال: «وقد ذكره ابن عبدالبر بعبدالله بن المعمر، وهو تصحيف»[٢]، ومن هذا القبيل كانت كثيراً من تعليقات العلماء بعضهم على بعض، لأن معظم هذه الأخطاء تنشأ إما من البصر أو السماع، فيقع التصحيف في الأسماء وربما اختلطت الأسانيد لهذا السبب[٣].

وينشأ من هذا التصحيف عدد من الأخطاء التي يجب التنبُّه إليها، مثال ذلك ما وقع فيه الزهري من خلط بين ذي الشمالين وذي اليدين، فهو على جلالة قدره في المغازي ظنَّ أنهما واحد[٤]، ونبَّه ابن عبدالبر على ذلك بقوله: «ذو اليدين رجل من بني سليم، يقال له الخرباق، حجازي شهد النبي ﷺ، وقد رآه وهم في صلاته فخاطبه، وليس هو ذا الشمالين، ذو الشمالين رجل من خزاعة حليف لبني زهرة، قتل يوم بدر، نسبه ابن إسحاق وغيره، وذكروه فيمن استشهد يوم بدر. وذو اليدين عاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين، وشهد أبو هريرة يوم ذي اليدين وهو الراوي لحديثه، وصحَّ عنه فيه قوله: بينا نحن مع رسول الله ﷺ صلَّى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي فسلَّم من ركعتين، فقال له ذو اليدين، وذكر... الحديث»[٥].

إن هذه النماذج التي استطاع ابن عبدالبر من خلالها، أن يوظِّف إمكانياته في حفظ أسماء الرجال، وضبط أسمائهم، ولا سيما في المتشابه منها، قد جعلت كتاب ***«الاستيعاب»*** من الكتب المعتمدة عند كثير من المصنِّفين فيما بعد في الرجوع إلى ضبط أسماء الصحابة الرواة عن النبي ﷺ

---

(١) الجرح والتعديل (٤/٣٣٢).
(٢) الإصابة (٤/٢٤٠). وينظر: الاستيعاب (٣/٩٩٥).
(٣) الحاكم، معرفة علوم الحديث ص ١٤٩.
(٤) الاستيعاب (٢/٤٧٦).
(٥) كذا أورده ابن عبدالبر، الاستيعاب (٢/٤٧٥). وينظر: تفاصيل الحديث عند: البخاري، الصحيح (٦/٢٦٤٨)؛ مسلم، الصحيح (١/٤٠٤).



إليه، وترجيح ضبطه للأسماء باعتباره من صفوة الكتب في هذا الباب، من ذلك ما اعتمده المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) في ضبط: «مخرفة بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة فراء ثم فاء، ويقال بالميم، والصحيح الأول كذا في الاستيعاب»[١]، وكذلك ما نقله الصنعاني (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٨م) في ترجمة أبي هريرة، حين اعتمد ترجيح ابن عبدالبر في أن اسمه عبدالله، ونقل قوله بأن هذا: «الذي يسكن إليه القلب»[٢]، وأنت ترى أن هذين المؤلفين يعدَّان من المتأخرين، فاستعانا بكتاب ***«الاستيعاب»*** على الرغم من وجود أكثر من كتاب في هذا المجال، أشهرها «الإصابة» لابن حجر، إلا أن هذا يبيِّن أن العلماء لم يكونوا ليستغنوا عن كتاب ابن عبدالبر.

ب ـ التفسير والتقويم:

إن الفهم الصحيح للنص يشكِّل ناحية مهمة من نواحي النقد والتمحيص، وهو في الوقت نفسه من أهمِّ أساليب عرض النص وبيان الزائف من الصحيح، ثم الاستنباط عن طريق التمعّن فيه والوقوف على معانيه، وقد عاب ابن خلدون على المؤرِّخين تمريرهم للأخبار دون نقد لها: «وكثيراً ما وقع للمؤرِّخين والمفسِّرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار...»[٣]، وعلى الرغم من ما تعنيه هذه العبارة من قيمة نقدية، إلا أنها قد عمَّمت الحكم ليشمل (العلماء والمفسِّرين) وهو تعميم ليس في محلِّه.

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي (٤/٤٤٣). وينظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب (٤/١٤٦٦).

(٢) محمد بن إسماعيل الكحلاني، سبل السلام شرح (١/١٤). وينظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب (٤/١٧٧٠).

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٩.

حيث اعتمد بعض العلماء المسلمين على أدوات نقدية دقيقة لتمحيص الخبر، وحقَّقوا نجاحاً ملحوظاً بذلك[1]، ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم باع في هذا المجال ابن عبدالبر في كتابه ***«الاستيعاب»***، فقد كانت له طريقة مميزة في تفسير الخبر التاريخي، ومن ثمَّ تعريضه للنقد الداخلي الذي له أثر في تقويمه، فرغم أنه يروي خبراً مسنداً عن: «ابن أبي خالد[2] قال: قلت لابن أبي أوفى[3]: أرأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: مات وهو صغير، ولو قدِّر أن يكون بعد محمد ﷺ نبيٌّ لعاش، ولكنه لا نبيَّ بعد محمد ﷺ»[4] فرغم أنه يروي هذا الخبر عن طريق شيخه خلف بن القاسم، إلا أنه يعلِّق على هذا الحديث بقوله: «هذا لا أدري ما هو..؟! وقد ولد نوح عليه السلام من ليس نبياً، وكما يلد غير النبي نبياً، فكذلك يجوز أن يلد النبيُّ غير نبي، والله أعلم، ولو لم يلد النبي إلا نبياً لكان كل واحد نبياً؛ لأنه من ولد نوح عليه السلام، وذا آدم مكلم وما أعلم من ولد لصلبه نبياً غير شيث»[5]، وقد أثار كلام ابن عبدالبر هذا نقداً من المعتنين بالحديث، قال ابن حجر: «جوابه أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا نظن بالصحابيَ أنه يهجم على مثل هذا بظنِّه، والله أعلم...»[6].

ولا يكتفي ابن عبدالبر بعرض الحديث للتفسير والنقد، بل إنه أيضاً

(١) بشار عواد معروف (الدكتور)، «أصالة الفكر التاريخي عند العرب»، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر التاريخي العالمي (بغداد ١٣٩٣هـ/١٩٧٩م) ص ٨٩٩.
(٢) هو أبو عبدالله إسماعيل بن أبي خالد البجلي الكوفي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م). ترجمته عند: ابن سعد، الطبقات (٣٤٤/٦)؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢٥٤/١).
(٣) هو عبدالله بن أبي أوفى علقمة بن خالد، صحابي سكن الكوفة (ت ٨٧هـ/٧٠٦م). ترجمته عند: ابن سعد، الطبقات (٣٠١/٤)؛ ابن حجر، الإصابة (١٨/٤).
(٤) الاستيعاب (٦٠/١)؛ والحديث عند: ابن ماجه، السنن (٤٨٤/١).
(٥) الاستيعاب (٦٠/١).
(٦) الإصابة (١٧٥/١)؛ وينظر: السيوطي، شرح سنن ابن ماجه (١٠٩/١)؛ ومن الجدير بالذكر أن ابن حجر ذكر أن عبارة ابن عبدالبر وردت في كتابه «التمهيد»، وهي في «الاستيعاب» كما تبيَّن.

يردُّ ما لا يقتنع به من أخبار، ومنه ما روي من خبر قيصر ملك الروم: «أنه بعث إلى معاوية: ابعث إليَّ سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراويلك، فقام فتنحّى وجاء فألقاها، فقال: ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها؟ فقال:

أردتُ بها كَي يَعلمَ الناسُ أنّها ... سَرَاويلُ قَيسٍ والوُفُودُ شهودُ
وأنْ لا يَقُولُوا غَابَ قَيسٌ وهذِهِ ... سَرَاويلُ عَاديّ نَمتهُ ثَمُودُ
وإنّي مِنَ الحَيِّ اليَمَانيِّ سَيِّدٌ ... ومَا النَّاسُ إلا سَيِّدٌ وَمَسُودُ
فَكِدْهُمْ بِمِثْلِي إنَّ مِثْلِي عَلَيهِمُ ... شَديدٌ وَخلْقي في الرِّجالِ مَدِيدُ

فأمر معاوية بأطول رجل في الجيش، فوضعت على أنفه، قال: فوقفت بالأرض!»[1]. وابن عبدالبر في نقده لهذه الرواية لا يتجشّم عناءً بذكرها، لأنها بتقديره: «كذب وزور مختلق، ليس له إسناد، ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية، ولا سيرته في نفسه ونزاهته، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزوّر، والله أعلم»[2]، فالأسس التي من خلالها يردّ هذه الرواية، تستحقّ أن نقف عندها قليلاً، فابن عبدالبر لا يجد في نفسه داعياً لذكر هذا الخبر أصلاً، فإسناده مما لا يشتغل به، وقد أوردها ابن عساكر والذهبي بإسناد يلتقي عند رجل مجهول ليس هناك تصريح باسمه، فهو لا يصحّ من حيث السند، وتعريضه للتحليل والتفسير لا يدلّ على مصداقيته، فما ذكر من نزع قيس بن سعد لسراويله في حضرة معاوية، فإنه ليس من أخلاقه ولا يتطابق مع سيرته الطيّبة المليئة بالكرم والمروءة وعزة النفس، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن قيس بن سعد كان مع الإمام علي ﷺ في سائر مشاهده، وبعد عام الجماعة سكن المدينة وبها توفي ولم تكن له علاقة قوية بالبيت الأموي[3].

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٤٣١/٤٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (١١٢/٣).
(٢) الاستيعاب (١٢٩٣/٣).
(٣) المصدر نفسه (١٢٩٣/٣)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٠٨/٣).

كما لجأ ابن عبدالبر في بعض الأحيان إلى الاستقراء لتفسير الخبر التاريخي، فعند ذكره لمقتل زيد ابن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب ﷺ، الذي قُتل باليمامة، يذكر رواية تفيد بأن قاتله هو سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم الحنفي، الذي ذكر بعض المؤرِّخين أنه هو الذي قتله في حروب الردة[1]، بعد أن كانا يقاتلان في جيش مسيلمة: «لأن النفس أميل إلى هذا، لأن أبا مريم لو كان قاتل زيد، ما استقضاه عمر ﷺ»[2]، وهذا الذي ذكره ابن عبدالبر غير مستبعد على الإطلاق.

ووقفة أخيرة مع ابن عبدالبر وأسلوبه النقدي في ***«الاستيعاب»***، فهو يدافع أشدَّ المدافعة عن حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ بشأن ما أثاره: «أكثر أهل الأخبار والسير، أن حساناً كان من أجبن الناس، وذكروا من جبنه أشياء مستشنعة، أوردوها عن الزبير، أنه حكاها عنه، كرهت ذكرها لنكارتها»[3]، وهذا في نظره ليس من صفات هذا الشاعر المشهور، خاصة وأن حسان بن ثابت قد تصدّى لشعراء المشركين بقصائده، ولو كانت هذه من صفاته لهُجي بذلك.

ومن خلال هذا يتَّضح لنا الأسلوب الذي استطاع به ابن عبدالبر تقويم الخبر التاريخي ومعالجته معالجة ناجحة، ميَّزت كتابه ***«الاستيعاب»*** وجعلته ذا قيمة تاريخية كبيرة، كما يبيِّن جهوده الأصلية في البحث التاريخي العميق في الحوادث الهامة في التاريخ الإسلامي، وقد استطاع ابن عبدالبر فعلاً أن يجد له حججاً مقنعة في توثيق الخبر وتمحيصه.

❦ ❦ ❦

---

(1) الاستيعاب (٢/٥٥٢). وقد ذكر ابن عبدالبر ذلك نقلاً عن: خليفة بن خياط، التاريخ ص ١٠٨.

(2) الاستيعاب (٢/٥٥٢)، ومن الجدير بالذكر أن أبا مريم إياس بن صبيح الحنفي، قد ولي قضاء البصرة على عهد عمر بن الخطاب ﷺ. ابن سعد، الطبقات (٧/٩١)؛ ابن حجر، الإصابة (١/٢٢٣).

(3) الاستيعاب (١/٣٤٨).